جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

ترجمة للصفحات من: (1-52) من كتاب أنا ملالا
لمؤلفه: ملالا يوسف زاي بالاشتراك مع كريستينا لامب

A Translation of the pages)1 –52 (of the book entitled:
Im MALALA by : Malala Yousaf Zai with Christina Lamb

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستيرالآداب في الترجمة

إعداد الباحث:
بشير عثمان بشير درار
إشراف الدكتور:
محمد الطيب عبد الله

2015

بسم الله الرحمن الرحيم

"لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها مـا اكتسـبت ربنـا لا تؤاخـذنا إن نسـينا أو اخطأنـا ربنـا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنـا مـا لا طاقـة لنـا بـه واعـف عنـا وأغفـر لنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين" . (286) سورة البقرة.

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى روح والدَيَّ
(اسأل الله أن يرحمهما رحمةً واسعةً)

إلى أسرتي الصغيرة التي هيأت لي كل الظروف لإنجاز هذا البحث وكذلك أسرتي الكبيرة

إليهم جميعاً أُهدي هذا البحث

الباحث

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الثناء والتقدير والعرفان لكل مـن سـاهم معي في إنجاز هذا العمل. وأخص بالشكر والتقـدير الـدكتور محمد الطيب عبد الله الذي أعتز وأفتخر بإشرافه علـى هـذا البحث.

والله ولي التوفيق

مستخلص البحث

هذا البحث عبارة عن ترجمة للجزء الاول من قصة "أنا ملالا –"I am Malala حيث كان يوم الثلاثاء الموافق التاسع من أكتوبر 2012 يوماً فارقاً في حياة الفتاة الباكستانية "ملالا يوسف زاي"، حينما هاجم أحد رجال طالبان الحافلة التي كانت تقلها مع رفيقاتها من المدرسة الى المنزل، وأصيبت برصاصة اخترقت محجر عينها اليسرى وخرجت من تحت كتفها الأيسر، حيث نُكبت ملالا وأصابها الأذى لاعتقاد طالبان بعدم ذهاب البنت الى المدرسة، كما إن السبب الآخر كان مجاهرة والدها بالعداء لحركة طالبان.

كان من عادة قبائل البشتون التي تنتمي اليها ملالا أنها ترحب بالمولود إذا كان ذكراً، أما بالنسبة للمولود الأنثى فإن التعازي تقدم لوالدها. ولكن، بالنسبة لملالا، فإن والدها وقع في حبها منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها النور وكان يفتخر بها دائماً ولكنه لم يستطع الاحتفال بها لأنه كان فقيراً ولم يستطع حتى شراء سرير جديد لها.

سميت "ملالا" تيمناً بملالاي المايواندية، البطلة الأفغانية العظيمة التي يفتخر بها شعب البشتون كثيراً، وهو شعب فخور بنفسه ويتكون من عدة قبائل منقسمة بين باكستان وأفغانستان. هناك قانون يلزمهم باستضافة الضيوف مهما كانت الظروف والأحوال، كما إن أسوأ شيء يمكن أن يحدث لهم هو أن يفقد المرء كرامته، ولديهم مثل يقول (لا قيمة لهذه الدنيا بدون شرف). بالرغم من أن قبائل البشتون دائماً ما تتناصب العداء وتقاتل بعضها البعض، إلا أنهم يتوحدون دائماً في مواجهة الغرباء الذين يحاولون غزو أراضيهم.

بالنسبة لملالا فإن منطقة "وادي سوات" التي ولدت وترعرعت فيها، كانت بالنسبة لها أجمل مكان في العالم، فالوادي هو مملكة الجبال الرائعة والشلالات المتدفقة والبحيرات البلورية الصافية، حتى إنه توجد في مدخل الوادي لافتة مكتوب عليها (مرحباً بكم في الجنة). عاشت ملالا حياة الطفولة الرائعة وهي تستمتع باللعب واللهو مع قريناتها في الوادي في جميع فصول السنة: في رياح الخريف الباردة، والثلوج تكسي المنطقة بحُلة بيضاء ناصعة، وعند حلول الربيع تتفتح زهور الكافور وتكتسي الأرض بالخضرة وتزدهر البساتين بشتى أنواع الفواكه اللذيذة. الناس في كثير من الأحايين يسمون وادي سوات باسم (سويسرا الشرق). لقد أقيم فيه أول منتجع للتزلج على الجليد في باكستان والذي يرتاده الأغنياء أيام العطلات للتمتع بالهواء والمناظر اللطيفة ومهرجانات الموسيقى والرقص.

مثل ما كان والد ملالا فخوراً بابنته، فقد كانت ملالا معجبة أيما إعجاب بوالدها مصدر فخرها. بالرغم من أنه نشأ وهو يواجه مشكلة التأتأة والتعثر في نطق الكلمات بالطريق الصحيحة، إلا أنه وبفضل مجهوده الشخصي وبمجهودات والده استطاع أن يجتاز هذه العقبة.

حدثت عدة أحداث غيرت كثيراً من وجه الحياة في وادي سوات، حيث أصبح الوادي جزءاً من باكستان عام 1969. استولى الجنرال ضياء الحق على السلطة في باكستان وقام بإعدام رئيس الوزراء المنتخب ذو الفقار على بوتو، مما أكسب باكستان سمعة سيئة على مستوى العالم، وقطعت أمريكا المساعدات عنها، مما أدى بالجنرال ضياء الحق الى إطلاق حملة أسلمة الدولة، حيث أصبحت حياة النساء أكثر تعقيداً في عهده. ثم تبع ذلك الغزو السوفيتي لأفغانستان الذي دفع بملايين الأفغان للفرار وأعطاهم الجنرال ضياء الحق حق اللجوء، كما إن سقوط شاه ايران ساعد على تدفق مليارات الدولارات من الولايات المتحدة والدول الغربية على باكستان، إضافة الى تدفق الأسلحة وأجهزة الاستخبارات وتدفق المقاتلون من عدة دول بهدف محاربة المد الشيوعي. الجدير بالذكر أن الشباب الذين انضموا الى رجال الدين في القرية باسم الاسلام لمحاربة الروس، أصبحت بعد عدة سنوات هي حركة طالبان (والتي تعني الطلبة الدينيين).

التحقت والدة ملالا بالمدرسة عندما كانت في السادسة من عمرها، وكانت الفتاة الوحيدة في صف الأولاد وهو شيء غير اعتيادي في مجتمع القرية، ولكنها وصلت الى قناعة عدم جدوى الذهاب الى المدرسة لأن المطاف سينتهي بها بالطبخ والتنظيف وتربية الأطفال مثل بقية الفتيات، فتوقفت عن الذهاب الى المدرسة. كان والد ملالا يقرأ الكثير من الكتب ويكتب القصائد ويعتقد أن عدم التعليم هو أساس كل المشاكل في باكستان. التحق بكلية "جيهانزيب" في نفس الفترة التي لقي فيها الجنرال ضياء الحق مصرعه في حادث تحطم طائرة غامض، وفازت "بنازير بوتو" في الانتخابات القومية التي أجريت وأصبحت رئيسة للوزراء، ونشطت الحركة الطلابية وتم تعيين والد ملالا أميناً عاماً لاتحاد الطلاب البشتون. استطاع والد ملالا مع أحد اصدقائه أن يفتح مدرسة بمدينة "مينجورا" ولكنها لم تستمر طويلاً لأنها واجهت أهم مشكلة وهي عدم توفر التمويل الكافي.

نشأت ملالا في عائلة فقيرة ولكنها كانت بالرغم من ذلك تذهب مع أسرتها الى قريتهم لقضاء عطلة العيد وحقائبهم محملة بالهدايا لعائلاتهم، وذلك في رحلة مضنية تستغرق حوالي خمس ساعات، في طريق يتبع نهر سوات، توجد على أطرافه مناجم الزمرد، وحقول الأرز الخضراء، ثم منطقة الينابيع والشلالات، وأخيراً الوصول الى القرية في قمة جبال "شانجلا".

Abstract

This research is a translation of the first part of the story “I am Malala”. Tuesday 9th of October 2012 made a difference to the life of the Pakistani girl "Malala Yousafzai", when the Taliban attacked a bus in which she was travelling with her friends from school to home. She was hit by a bullet which pierced her left eye socket and exited under her left shoulder. She was the victim of the Taliban belief that girls should not go to school. The other reason was her father's outspoken hostility to the Taliban movement.

Pashtun tribes, to which Malala relates, usually welcome the newly born baby if it is a boy and the condolences will be conveyed to her father if it is a girl. However, for Malala, her father loved her from the first moment and he was always proud of her but couldn't celebrate for he was so poor that he could not even afford to buy her a new bed.

She was named after “Malalai of Maiwand”, the greatest heroine of Afghanistan. Pashtuns are proud people of many tribes spread between Pakistan and Afghanistan. There is a law which obliges them to give hospitality to all guests whatever the circumstances. The worst thing that can happen to a Pashtun is loss of dignity. Shame is a very terrible thing for a Pashtun man. They have a saying: "Without honour, the world counts for nothing”. Pashtuns fight and feud among themselves so much, but, they always come together against outsiders who try to conquer their lands.

For Malala, the "Swat Valley”, where she was born and raised, was the most beautiful place in the world. The Valley is a Kingdom of magnificent mountains, cascading waterfalls and crystal clear lakes. Therefore, there is a sign at the valley entrance saying (welcome to Paradise). She lived a great childhood playing and having fun with her peers in the Valley, with the change of seasons, with the winds of autumn, the cold, the snow that covers the region with a bright white color, and then by spring eucalyptus flowers blossom with greenery and flourishing orchards with

various kinds of delicious fruits. So people often refer to the Swat Valley as the (Switzerland of the orient), where the first ski resort in Pakistan is visited by rich people on holidays who enjoy the fresh air, the pleasant scenery, music and dance festivals.

As Malala’s father was proud of his daughter, she was highly impressed by her father, her source of pride. Although he grew up facing the problem of stuttering and stumbling in the pronunciation of words in the correct way, but with his personal effort and his father's efforts he could overcome this problem.

There have been several events that changed many of the life in the Swat Valley, for the Valley became part of Pakistan in 1969. Gen. Zia ul-Haq seized power in Pakistan and executed the elected Prime Minister Zulfikar Ali Bhutto. For that reason Pakistan earned a bad reputation around the world, and the USA stopped its aid to it, leading General Zia ul-Haq campaign to the Islamization of the State, where the lives of women became more complicated. After that followed the Soviet invasion of Afghanistan, which prompted millions of Afghans to flee and "General Zia ul-Haq" gave them asylum. The fall of the Shah of Iran helped the flow of billions of dollars from the United States and Western countries to Pakistan, alongside the flow of weapons, intelligence agencies and fighters from several States to combat the Communist expansion. It is noteworthy that young people who joined the clergy in the village in the name of Islam to fight the Russians, after several years became the Taleban movement (which means: The religious students).

Malala’s mother joined the school when she was 6 years old, and was the only girl in a boy's class, something unusual in a village community. However she concluded that going to school was futile, because eventually she would end up in cooking, cleaning and caring of children like the rest of the girls, so she stops going to school. Malala’s father reads a lot of books and writes poems and he believes that lack of education is the basis of all the problems in Pakistan. He joined the Faculty of "Jehanzeb" during the period

in which Gen. Zia ul-Haq died in a mysterious plane crash and Benazir Bhutto subsequently won the national elections and became the Prime Minister. The students' movement activated and "Yousafzai", the father of Malala, was appointed as Secretary General of the Student Union of Pashtuns. Yousafzai, with one of his friends, opened a school in the town of Mingora but did it not survive as they faced the most important problem which was a lack of adequate funding.

Malala grew up in a poor family but nonetheless she used to go with her family to their village to spend the Eid vacation with luggage laden with gifts for the family. That after the difficulties of a trip of about five hours on a path follows the river Swat, edged with emerald mines, green rice fields, then springs and waterfalls, and finally the village up onto "Shangla" top.

المحتويات

تسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
1	غلاف البحث	أ
2	صفحة الموافقة	ب
3	الآية	ج
4	الاهداء	د
5	الشكر والتقدير	ه
6	مستخلص البحث	و+ز
7	Abstract	ح+ط+ي
8	المحتويات	ك
9	مقدمة المترجم: 1. البحث وأهميته وأهدافه. . . . . . 2. أساليب الترجمة. . . . . . 3. صعوبات الترجمة. . . . . . 4. تنظيم النص المترجم.	ل م ن ن
10	الغلاف	1
11	خريطة باكستان والدول المجاورة لها	2
12	إهداء المؤلف	3
13	استهلال: اليوم الذي تغيرت فيه حياتي	4
14	الجزء الأول: ما قبل طالبان: 1. مولـــــــــــــــــــــــــد بنت. . . . . . 2. أبي الصقر . . . . . . 3. النشأة في مدرسة . . . . . . 4. القرية	11 12 24 35 50

مقدمة المترجم

أهميته البحث وأهدافه.

ملالا يوسف زاي فتاة باكستانية الأصل. نشأت وترعرعت على أرض باكستان في منطقة وادي سوات ذات الطبيعة الخلابة خلال جميع فصول السنة. تنحدر من قبائل البشتون التي تقطن المنطقة الممتدة ما بين شمال شرق باكستان وشمال غرب أفغانستان وهي قبائل معروفة بتمسكها بالعادات والتقاليد والأعراف السائدة في المنطقة منذ القدم. يكرهون إنجاب البنات ويحجرون عليهن التعليم حيث يعتقدون أن المرأة مكانها المنزل للطبخ والتنظيف وأنجاب وتربية الأطفال.

كان والدها رجل عصامي طموح نجح في تأسيس وإدارة مدرسة وأصبح رئيساً لأصحاب المدارس الخاصة في منطقته، ويعد هذا إنجازاً عظيماً لشخص منحدر من قرية صغيرة. والدتها امرأة بسيطة حظها من التعليم كحظ الأثنين وثلاثين مليون امرأة أمية في باكستان، وهي تجاهد الآن لتتعلم مفاتيح القراءة. نالت هي وأخويها "خوشال" و"أتال" حظهما من التعليم فقد تعلمت في مدرسة والدها. تبنت رؤية والدها في التعليم، حيث نشطت في مجال تعليم البنات مساندةً لوالدها في نشاطاته في هذا المجال. بدأت الأمر سراً تحت أسم مستعار ثم لاحقاً أصبح علناً باسمها ملالا، وكانت تدعو إلى نشر التعليم بين الفتيات والسماح لهن بنيل حظهن من التعليم أسوة بأخوتهن في جميع أنحاء العالم حيث ترى أن الدين الإسلامي قد كفل لهن ذلك.

لم يرق هذا التوجه والأنشطة لحركة طالبان، حيث كانت ترى أن ملالا دمية في يد الغرب يستخدمها مطية للتبشير بالحضارة والثقافة الغربية التي يطمح بنشرها إلى تدمير الإرث الإسلامي والثقافي النبيل لهذه البقعة من الأرض كما فعل واحتل أفغانستان بعد أن أقصى حركة طالبان من الحكم. لم تنجح هذه التهديدات في ردعها فواصلت فتاتنا تحصيلها العلمي ومشاركتها في الأنشطة وحصدت العديد من الجوائز المحلية والإقليمية وتخطى صيتها الحدود. وبشكل موزاي ازداد أوار غضب حركة طالبان عليها، فخصصت من يراقب جميع تحركاتها ويجمع المعلومات عنها على مدى ثلاثة أشهر. يوم الثلاثاء الموافق التاسع من أكتوبر 2012 نجحت الحركة في إطلاق النار عليها وهي داخل حافلة المدرسة متوجهة مع زميلاتها إلى بيتها بعد ساعات الدراسة بهدف اسكاتها للأبد.

أهمية هذا البحث تتجسد في التالي:

- يمثل الكتاب إصدارة حديثة حيث تم إصداره في العام 2013.
- يتناول الكتاب أهمية تعليم المرأة، وكفاحها ونضالها من أجل التعليم.
- يعكس العزيمة والاصرار والصبر لمن يريد ان يحقق هدفاً.

- يوضح الكتاب الجوانب السلبية التي كانت تنتهجها بعض الجماعات المتطرفة حول تعليم المرأة.
- يشير الكتاب قيام بعض الجماعات المتطرفة بتشوية صورة الاسلام و والتشدد في مسائل لم يحرمها الاسلام.
- وقوف منظمات المجتمع المدني والدول المتقدمة مع حق المرأة في التعليم ودعمها لذلك الحق.

الدور الكبير الذي قامت به هذه الناشطة ذات الثلاث عشرة ربيعاً في مناهضة الجهل ودعم تعليم الفتيات والمساواة بين الجنسين باعتباره عملاً من صميم واجبات بنات جيلها في تلك الظروف القاسية، كافأها عليه المجتمع الدولي بما يلي:

- نقلت بعد اصابتها بطلقات طالبان إلى بيرمنجهام بإنجلترا حيث تم علاجها وواصلت تعليمها الثانوي هناك ومعها اسرتها.
- منحت جائزة نوبل للسلام وعمرها لا يتعدى السبعة عشر ربيعاً كأصغر شخص ينال هذه الجائزة الدولية ذات القيمة الادبية العالية.
- منحت ميدالية الحرية ((The Liberty Medal في الحادي والعشرين من اكتوبر 2014 من مركز الدستور الوطني الامريكي بفيلادلفيا وهي جائزة سنوية تمنح للشخص الذي يسعى جاهداً لتأمين الحرية للناس في جميع أنحاء العالم، وقد منحت من قبل لكل من نيلسون مانديلا وكوفي عنان وجيمي كارتر.
- كونت مؤسسة غير ربحية تسمى "صندوق ملالا".

<u>أساليب الترجمة.</u>

في إطار سعي المترجم لحل مشكلات الترجمة والوصول إلى عقول القراء المستهدفين وإحداث تأثير مماثل للذي تحدثه لغة الأصل، وظف خبرته في مجال الترجمة وإلمامه بأساليب الترجمة لإخراج النص في لغة الترجمة بصورة مرضية، حيث:

- لم يلجأ المترجم إلى الترجمة الحرفية إلا إذا كانت تؤدي إلى إخراج نص مترجم ترجمة صحيحة ويحدث ذلك عادة عند التشابه في صرف اللغتين.
- استخدم المترجم أسلوب نقل المعاني (Paraphrasing) على سبيل المثال:
  - في العجلة الندامة: Haste makes waste
  - كانت "منيبة" تعرف إن كان هناك مكروه سوف يحدث:Moniba always knew if something was wrong.

- أيضاً استخدم أسلوب نقل المعاني (Paraphrasing) في اعادة سبك مقطع دوبيت تقليدي لقبائل البشتون يقول:

Rather I receive your bullet-riddled body with honor
Than news of your cowardice on the battlefield

حيث تمت ترجمته إلى:
بتشرف وقتين يجيبوا بدنك والرصاص قطعو
ما يجيبوا خبراً شين يقول انت من الرجال الفزو.
(وفقاً لنظم شعر الحماسة السوداني).

وفي كل ذلك، كان المترجم يحلل النص المراد ترجمته ويستخلص معناه ثم يصوغ ذلك في لغة الترجمة مراعياً مبادئ الترجمة وملتزماً باللغة المستخدمة في المجال الأدبي ومتحري دقة ترجمة الجمل وعبارات اللغة التداولية والتي بلا شك لها تأثير كبير في صحة الترجمة .

صعوبات الترجمة.

واجهت المترجم بعض الصعوبات فيما يتعلق ببعض الكلمات والمصطلحات الباكستانية والتي عادة ما يكون مصدرها اللغة الاردية، على سبيل المثال لا الحصر: lachi: , khaista dad, jani moni, pakhtunkhwa, ,.....الخ، ولكنه استطاع أن يتغلب على ذلك بالرجوع في بعض الأحيان إلى أشخاص من ذوي الجنسية الباكستانية.

تنظيم النص المترجم.

- تم اقتسام كتاب "أنا ملالا" والذي يحتوي على 265 صفحة على خمسة من الدارسين بموافقة إدارة الكلية. كلف المترجم بترجمة الجزء الاول والذي يشمل على 52 صفحة من الصفحة 1 إلى الصفحة 52 وذلك كما موضح بالمحتويات (ل) أعلاه.
- فيما يتعلق بتنظيم النص المترجم، حافظ المترجم على هيكل النص الأصلي- المقسم إلى خمسة اجزاء، يحتوي كل جزء على عدد من المواضيع كعناوين رئيسية - بعد ترجمته لم يقسم إلى أبواب وفصول، وذلك لتسهيل متابعة الترجمة في النصين، الأصلي والمترجم.

أنا ملالا

الفتاة التي صمدت من أجل التعليم وأصيبت بطلق ناري على يد طالبان

ملالا يوسف زاي

بالاشتراك مع كريستينا لامب

ويدنفلدونيكلسون
لندن

اهداء المؤلف

إلى كافة الفتيات اللائي تعرضن الظلم وتم إسكاتهن.
معاً سوف يكون صوتنا مسموعاً.

استهلال

اليوم الذي تغيرت فيه حياتي

إنني أنتمي إلى وطن خرج إلى الدنا في مهمـه الظلام غيـر أنـه حيـن كنت على شفا حفرةٍ من الردى، زالت شمسه عن كبد السماء.

قبل سنة خلت، خرجت من بيتي في طريقي إلي المدرسة ولكني لم أرجـع إليـه قـط. لقـد أصـابتني رصاصـة مـن طالبـان وحملـت خـارج باكستان على متن طائرة وأنا فاقـدة الـوعي. يقـول البعـض أنـي لـن أعود لوطني البتة ولكني في صميم فؤادي أثق بشدة أن سـأفعل. أن تخرج من الأرض التي تحب لأمرٌ لا يمكن لأمرئ أن يتمناه لأحد.

الآن، كل صـباح عنـدما اسـتيقظ مـن نـومي، أحـن لرؤيـة غرفـتي القديمــة مليئةبأغراضــي، ملابســي المبعــثرة علــى الأرض وجــوائزي المدرسية على الرفوف. بدلا من ذلك أنـا الآن فيبلـد تشـرق شمسـه متأخرةً خمس ساعات عن وقت شروقها فيـوطني الحـبيب باكسـتان وبيتي في وادي سوات. ولكن بلدي متأخر قروناً عـن هـذا البلـد. هنـا تتوفر كل وسائل الراحة التي يمكن أن تتخيلها. المياه جارية مـن كـل صنبور، ساخنة أو باردة، كما ترغب. الإضـاءة بضغطة زر، ليلا ونهارا، لا حاجة لمصابيح الزيت. أفران طهـي الطعـام لا تحتـاج الـى شـخص يقوم بالذهاب لجلـب اسـطوانات الغـاز مـن السـوق. كـل شـيء هنـا

حديث جدا ويمكن للمرء الحصول حتى على الطعام المطبوخ جـاهزاً في حاويات صغيرة.
عندما أقف أمام نافذتي وأنظـر للخـارج، أرى بنايـات شـاهقة وطـرق طويلـة مليئـة بالسـيارات تتحـرك فـي خطـوط منتظمـة، سـياجات وساحات خضراء نظيفة، وأرصفة مرتبة لسير المشاة. أسبل جفنـي ، ولهنيهـةٍ اعـود لـواديّ، أعـود للجبـال العاليـات تكسـو هامتهـا الثلـوج البيضاء، وللحقول الخضراء المتموجة وللأنهار اللازردية غيـر الآسـنة – وينضح خافقي حبوراً وهـو يتفـرس فـي قسـمات أهيـل ذاك الـوادي. أنتقـل بـذهني عائـدة إلـى مدرسـتي حيثيلـتئم الشـمل مـع صـديقاتي والمعلمين. التقيبصديقتي العزيزة"منيبة" نجلس معا، نتحـدث ونمـزح كما لو كنت لم أغادر ذلك المكان أبدا.
ثم أتذكر أنني في برمنغهام، بإنجلترا.
اليوم الذي تغير فيه كل شيءهو يوم الثلاثاء 9 أكتوبر 2012. لم يكن مـن أفضـل الأيـام بدايـةً، حيـث كـان فـي منتصـف أيـام الامتحانـات المدرسية، وبما أني فتـاة محبـة للاطلاع لـم أكـن أعيـر ذلـك اهتمامـا بقدر ما تفعل بعض زميلاتي.
فـــي صـــباح ذلـــك اليـــوم وصـــلنا مـــن خلال ذلـــك الزقـــاق الوحلالضيقخارجطريق "حاجي بابـا"فـي مسـيرتنا المعتادةبالركشـات المطلية بالألوان الزاهية، وهي تلوث الجو بدخان الديزل، كـل واحـدة تحشر مع خمس أو ست فتيات. منـذ أن جـاء عهـد طالبـان لـم تكـن لمدرستنا لافتة، وباب النحاس المزخرف في جدار أبيض على الجانب الآخر من ساحة الاحتطاب لا يوحي بما يكمن وراءه.
نحنكفتيات، كانت هذه البوابة بمثابة المدخل السحري لعالمناالخـاص. بمجرد تخطينا لها، نقوم بنزع أغطية الرأس ونقذفها مثل الرياح الـتي ترسـل السـحب بعيدالإفسـاح الطريـق لأشـعة الشـمس، ثـم نجـري بسرعةلأعلى الدرج حيث توجد ساحة تفتحعليها جميـع أبـواب قاعـات الدراسة. نقوم بتكديس حقـائب الظهرفـي غرفنـا ثـم نتجمـع لطـابور الصباح في الهواء، ظهورنا إلى الجبـال بينمـا نقـف فـي وضـع انتبـاه. تقوم فتـاة بإصـدار الأوامـر، "قـف فـي وضـع اسـترح!" ونحـن نقـوم بضرب أقدامنا على الأرض ونردد، "الله"، ثم تقول: "انتبـاه!" ونحـن نقوم بضرب أقدامنا على الأرض مرة أخرى "الله".
أسسأبي المدرسة قبل ميلادي، وعلى الجدار فوق رؤوسنا لافتة خطتبفخر، تحمل اسم "**مدرسة خوشال**"بحروف حمراء وبيضاء.كنا نذهب للمدرسة كل صباح ستة أيـام فـي الأسـبوع، وكفتـاة أبلـغ مـن العمـر خمسـة عشـر عامـاً، فـي الصـف التاسـعكنانبذل جهـداً ونحـن نرددفي حصصنا الدراسية المعادلات الكيميائية أو دراسة قواعد اللغة الأردية؛ كتابـة القصـص باللغـة الإنجليزيـة وعلـوم الأمثـال مثـل "فـي العجلة الندامة" أو رسم مخططات الدورة الدموية - معظـم زميلاتـي يرغبن فيأن يصبحن طبيبات. من الصعوبة بمكـان أن نتصـور أن ذلـك قد يشكل تهديدا لأي شخص. حتى الآن، خارج بـاب المدرسـة لا تجـد فقط ضوضاء وجنون "مينجورا"، المدينة الرئيسـة فـي وادي سـوات،

ولكــن أيضــا هؤلاءالــذين يعتقــدون بعــدم ذهــاب الفتيــات إلــى المدرسة،مثل طالبان.

لقد بدأ ذلك الصباح عادياً، برغم أنه متأخر قليلا عن المعتاد لأن الدراسـة فـي فـترة الامتحانـات تبـدأفي السـاعة التاسـعة بـدلا مـن الثامنـة، وكـان هـذا التـوقيت جيـداً بالنسـبة لـي حيـث أنـي لا أحـب الاستيقاظ مبكراً ويمكننيالنوم خلال صـياح الـديوك ونـداءات المـؤذن للصلاة. أولاًسـيحاول والـدي إيقـاظي مـن النـوم. يقـول "حـان وقـت الاستيقاظ من النوم، جاني مون". وهـذا يعنـي "تـوأم روحـي" باللغـة الفارسية، وكان دائما يدعوني بذلك فـي بدايـة اليـوم. "دقـائق قليلـة فقط، يا بابا، من فضلك"،أترجاه، ثم احشر نفسي تحت اللحـاف. ثـم تأتي أمي و تقـول "بيشـو"، وهـذا يعنـي "القطـة" وهـو الاسـم الـذي تناديني به. في هذه اللحظة أدرك أن الوقت قد حان وأصرخ، "بهابي، أنا تأخرت!" في ثقافتنا،كل الرجال همإخوانك وكل النساء هنأخواتـك. هكذا هو تفكيرنا نحو بعضـنا البعـض. عنـدما أخـذ والـدي زوجتـه إلـى المدرسة لأول مرة، كان جميع المعلمين يشـيرون إليهـا باسـم زوجـة أخي أو "بهابي". وسار هذا الاسم عليها منذ ذلك الحيـن. نحـن جميعـا ندعوها الآن بهابي.

كنت أنام في غرفة طويلة في الجزء الأم امي مـن منزلنـا، وكـان بهـا فقـط سـرير وخزانـة ملابـس، كنـت قـد اشـتريتهابعض مـن المـال الذيمنحته كجائزة للحملة التي قمنا بها مـن أجـل السـلام فـي وادينـا وحق الفتيات في الذهاب إلى المدرسة. في بعض الرفوف وضـعتكل الكـــؤوس البلاســـتيكية المطليةبالـــذهب والجـــوائز التيتحصـــلت عليهالحصولي على المركز الأول فـي صـفي. لـم أتمكـن منالحصـول علـى المركـز الأول فيمرتيـن فقـط –فـي كلاهمـاكنت قـد تعرضـت للهزيمة من قبل منافستي في الصف "ملكة بنت النور" ولكنـي كنـت مصممة علىأن لا يحدث ذلك مرة أخرى.

لم تكن المدرسة بعيدة عن بيتنا واعتدت على الذهاب اليها مشياً على الأقدام، ولكن منذ بداية العام الماضي درجت علـى الـذهاب مـع الفتيات الأخريات بالحافلة. كانت الرحلة تستغرق خمس دقائق فقـط على طول مجرى نتن، مروراًبلوحة عملاقة لمعهد دكتـور "هومـايون" لزراعة الشعر،وكنا نردد مازحين أنمدرسناالأصلع ربما يكون قد ذهـب الـى هـذا المعهـد وذلـك عنـدما بـدأ شـعره ينبـت فجـأة. كنـت أحـب الحافلةلأنيلا اتبلل بـالعرق كمـا هـو الحـال عنـدما كنـت أمشـي، كمـا يمكنني الدردشة مع أصدقائي والقطيعـة مـع عثمـان علـى، السـائق، الـذي نسـميه"بهـاي جـان"، أو "الأخ". كانيضـحكنا جميعـاً بقصصـه المجنونة.

بدأت الانتقالبالحافلة لأنوالدتي كانت خائفةمن ذهابي للمدرسة بمفردي. كانتتوجه لنا التهديـداتطوال العـام،بعضـهاكان فـي الصـحف، وبعضهافي شكل مذكرات أو رسائل تمرر لنابواسطة الناس. والـدتي كانت قلقة علي، ولكن حركة طالبان لم تعتد أبداً على أي فتـاة، وأنـا كنت قلقة جداً مـن أنهـا ستسـتهدف والـدي لأنـه كـان يتحـدث دائمـا

ضدهم. صديقه وزميله المقرب المناضل "زاهد خـان" قتـل برصاصـة في وجهه في أغسطس بينما كان في طريقه إلى الصـلاة، وأنـا كنـت أعرف أن الجميع كان يقول لوالدي، "احذر، سوف تكـون أنتالشـخص التالي".

لا يمكن الوصول الى شارعنا بالسيارة، للوصول إلـى المنـزل يجب النزول من الحافلـة علـىالطريق المنخفضـبجانب النهروالمشـي من خلال بوابة ذات قضبان حديديةثم صعودمجموعة من الدرج. كنت أعتقد إن كان هناك شخص ماسيهجم علي،فإنه سيفعل ذلكوأنا أصعد مجموعة الدرج هذه.مثـل والـدي دائمـا مـا كنـت اسـتغرق فـي أحلام اليقظة، وأحيانا في أثناء الحصص الدراسيةينحرف ذهنـي وأتخيـل أنـه في الطريق إلى البيت قد يقفزإرهابي ويطلق النـار علىفـي مجموعـة الدرج هذه. كنت اسـأل نفسـيعما يمكـن فعلـه. ربمـا سـأخلع حـذائي وأضربه به، ولكن بعد ذلك كنت أعتقد إذا فعلت ذلك فلن يكون هنـاك أي فرق بيني وبين الإرهابي. من الأفضـل أن أترافـع، "حسـنا، أطلـق علي النار، ولكن استمع إلي أولا. ما تقومون به خطأ.أنا لسـت ضـدك شخصياً، فقط أرغب في أن تذهب كل فتاة إلى المدرسة".

لم أكن خائفة ولكن بدأت التأكد من أنه قد تم تأمين الباب في الليل، وأسأل الله ماذايحدث عندما يموت الشخص. أخبرتصديقتي المفضـلة "منيبة"بكل شيء. كنا نسـكن فـي نفـس الشـارع عنـدما كنـا صـغاراً وأصـدقاء منـذ المدرسـة الابتدائيـة وتشـاركنا فـي كـل شـيء، أغـاني "جاستن بيبر"، أفلام فترة الانحطاط، وأفضل كريمـات تفتيـح الـوجه. كان حلمها أن تكون مصـممة أزيـاء علـى الرغـم مـن أنهـا تعـرف أن عائلتها لن توافق علـى ذلـك، لـذاأخبرت الجميـع أنهـا تريـد أن تكـون طبيبة. انه من الصعب على الفتيات فـي مجتمعنـا أن يكـنّ أي شـيء آخـر غيـر مدرسـات أو طبيبـات،هـذا اذا كـان بإمكـانهن العمـل علـى الإطلاق. كنت اختلف عنهن - أنا لم أخف رغبتي عندما غيرتها منطبيبة إلى الرغبة في أن أصير مخترعة أو سياسية. كانت "منيبة" دائما تنبـأ بحدوث ما لا يحمد عقباه،فقلـت لهـا "لا تقلقـي،طالبـان لـن تعتدأبـدا على فتاة صغيرة".

عندما تـم اسـتدعاءحافلتنا، ركضـنا إلـي أسـفل الـدرج. غطـت جميـع الفتيات الأخريات رؤوسهن قبل خروجهن من البـاب والصـعود للجـزء الخلفي من الحافلة. وكانت الحافلـة فـي الواقـع مـا نسـميه "ديانـا"، شاحنة تويوتا بيضاء بها ثلاثة مقاعد طولية متوازية، مقعدينبواقع واحد على كل جانب من جانبي الشاحنة، وواحد في الوسـط. كـانت ضـيقة لاستيعاب عشرينفتاة وثلاثة مدرسـين. كنـت جالسـةإلى اليسـار بيـن منيبة و فتاة من الصـف الدراسـي الأدنـى تسـمى "شـادية رمضـان"، نضم ملفات الامتحانات إلى صدورناوحقائب المدرسة تحت أقدامنا.

بعدذلك أصبح الجو غائماً. أتذكر أن الجوداخلالحافلةكان ساخناً ورطباً. لقد تأخر حلولالأيام الباردةوأصاب صقيع الثلج فقط جبـال هنـدوكوش البعيدة. الجزء الخلفي من الحافلةوالذي كنا نجلس فيه كان بلا نوافذ، مجرد أغطية بلاستيكية سميكة معلقة على الجانبينوهي صفراء غامقة

اللـون يغطيهاالغبـارلا تكـاد تـرى مـن خلالهـا. كـل مـا كـان يمكـن أن نراهبقعةصغيرة من السماء المفتوحة و لمحـات مـن الشـمس وذلـك من الخلف. في ذلك الوقت مـن اليـوم كـانت الشـمس ككرةصـفراء تدوروسط الغبار الذي نزل على كل شيء.

أتذكر أن الحافلة اتجهت إلىالجانب الأيمنخارج الطريق الرئيس عند نقطة تفتيش الجيش كما هو الحال دائما واستدارت حول الزاوية مروراًبملعب الكريكتالمهجور. لا أتذكر أي شيء بعد ذلك.

أرى في أحلامي بإطلاق النار، أن أبي معـي أيضـاً فـي الحافلـة، وأنـه يصاب معي بالطلقات النارية، ثم أرى رجالاً ينتشرون في كـل مكـان، وأرى أني ابحث عن أبي.

ما جرى في الواقع أنا توقفنـا فجـأة. علـى يسـارنا قـبر "شـير محمـد خان"، وزير الماليةالأول لحاكم سوات، القـبر كلـه مغطـى بالعشـب، وعلى يميننا مصنع للوجباتالخفيفة. كان ذلك على بعد مسافة تقل عن 200 متر من نقطة التفتيش.

لم نتمكن من رؤية ما يدور أمامنـا، فقـط شـاب ملتحييرتـدي ملابـس ذات ألـوان فاتحـة تقـدمإلى وسـطالطريق ولـوح للشـاحنة بالتوقف.

"هل هذه حافلة مدرسة خوشال؟" سأل سائقنا. اعتقد عثمان بهاي جانأن هذاالسؤال غبي حيث أن اسم المدرسة كان مكتوباً علـى جانب الحافلة. رد عليه عثمان "نعم".

قال الرجل، "أنا بحاجة إلى معلومات عن بعض التلميذات".

"يجب أن تذهب إلى المكتب"، رد عليه عثمان بهاي جان.

بينما هو يتحدث،اقترب شـاب آخـر يرتـدي لبـاس أبيـض مـن الجـزء الخلفي مـن الحافلـة. "انظـروا، انهصـحفيٌقادمٌ لإجراءمقابلـة"، قـالت منيبة. منذأن بدأت التحدث في المناسبات مع والدي في حملة تعليـم الفتيات وضد هؤلاء أمثال طالبان الذين يريدون إقصـاءنا بعيـدا، غالبـا ما كان الصحفيون يأتون إلينـا، حـتى الأجـانب منهـم، ولكنليـس بهـذه الطريقة في قارعة الطريق.

كان الرجل يرتدي قبعة مدببة الرأس ويضع منديل فـوق أنفـه وفمه كما لو كان مصاباً بالإنفلونزا. كـان يشـبهالطالب الجـامعي. ثـم حركبجسمهتجاهالمقاعد الخلفيـة فـي الظهـر وانحنـى مباشـرةً فـوق رؤوسنا.

وسأل "من منكن ملالا؟"

لم ينبس أحد ببنت شفة، ولكن العديـد مـن البناتنظرنـاليّ. أنـا الفتـاة الوحيدة التي كانت كاشفة الوجه.

أشهر مسدسـاً أسـود، علمـت لاحقـا أنـه كـان مـن نـوع(كـولت 45)، صرخت بعض الفتيات. تخبرني "منيبة"،بأنيضغطت على يدها.

صديقاتي يقولن إنه أطلق ثلاث طلقات، واحـدة بعـد الأخـرى. اخترقت الأولي محجر عيني الأيسر وخرجت من تحت كتفـي الأيسـر. ارتميت للأمام على منيبة، والدم يسيل مـن أذنـي اليسـرى، وبالتـالي فـإن الرصاصـتين الأخريـن أصـابت الفتيـات الجالسـات بجـواري.

اخترقت رصاصة يد"شادية" اليسرى. اخترقت الرصاصة الثالثة كتفهـا الأيسر واستقرت أعلى ذراع "كينات رياض" الأيمن.
قالت لي صديقاتي في وقت لاحق أن يد المسلح كانت ترتجـف بينمـا كان يطلق النار.
عند وصولنا إلى المستشفى كـان شـعري الطويـل وكـذلك الكمـبيوتر المحمول الخاص بمنيبة ملطخانبالدماء.
من هي ملالا؟ أنا ملالا وهذه هي قصتي.

الجزء الأول
ما قبل طالبان

خيرٍ لي استقبال جثتك ممزقةً بالرصاص بشرف
بدلاً عن أخبار تحدث عن جبنك في أرض المعركة.
(مقطع دوبيت تقليدي لقبائلالبشتون)

المـترجم: تمـت ترجمتـه وفقاًلنظمشعرالحماسةالسـوداني كالتالي:
(بتشرف وقتين يجيبوا بدنك والرصاص قطعوا
ما يجيبوا خبراًشين يقول أنت من الرجال الفزو).

1
مولد بنت

عندما ولدت، قـدمالناس فـي قريتنـا العزاءلوالـدتي ولـم يهنـئ أحـداً والدي. ولدت فجراًعندما خبأ وميض آخر نجمة. نحن البشتون نرى أن ذلكمن علامات السـعادة وحسـن الفـال. لـم يكـن لوالـدي أي أمـوال يـدفعها للمستشـفى أو للقابلـة لذاقامتأحـد جاراتنـا بالمسـاعدة فـي ولادتي. الطفل الأول لوالـدي ولـدميتاً ولكنـي خرجـت للوجـود أصـيح وأرفس. ولدت فتاة في بلاد تطلق فيها نيران البنـادق احتفـالاً بقـدوم الولد، بينما يتـم إخفـاء البنـات بعيـدا وراء سـتار، دورهـن فـي الحيـاة ببساطة هو إعداد الطعام وإنجاب الأطفال.

بالنسبة لمعظم البشتون،فان اليوم الذي تولد فيه بنت يكون يوماً كئيباً. ابن عم والدي "جيهان شير خان يوسـف زاي" كـان واحـدا مـن القلائل الذين جاءوا للاحتفال بمولدي،فضلاً عنتقديمهلهدية مقدرة من المـال. ومـع ذلـك، أحضـر معـه شـجرة عائلـة كبيرةلعشـيرتنا، "آل دالوكهيل يوسفزاي"، ترجع مباشرةً الى جد جدنا الأكبر وتظهـر فقـط خط تسلسل الذكور. والدي، "ضياء الدين"، يختلف عن معظم رجـال البشتون. أخذ الشجرة، رسم خطاًمن اسمه في شكل حلاوة مصاصة على عود ، وفي نهايته كتب "ملالا". ضحك ابن عمه مندهشاً. لم يهتم أبي. يقول انه نظر الـى عينـي بعـد أن ولـدت ووقـع فـي حـبي. قـال للناس: "أعلم أن هناك شيءمختلففيهذه الطفلة". حتى انه طلب من اصدقائه ان يلقوا الفواكه المجففة والحلويات والنقـود فـي فراشـي، وهو شيء عادة ما نفعله للذكور فقط.

أنـا سـميت ملالا تيمنـاً بملالاي المايوانديـة، البطلـة الأفغانيـة العظيمة. البشتونشعب فخور بنفسهيتكون مـن عـدة قبائـل منقسـمة بيـن باكسـتان وأفغانسـتان. نعيـش كمـا تعودنـا لعـدة قرونبقانونيسـمى"بشـتونوالي"والـذي يلزمنـا باستضـافة جميـع الضيوفويحتوي على القيمة الأكثر أهميةألا وهـي "النـانغ" أو الشـرف. أسوأ شيء يمكن أن يحدث للبشتون هـو أن يفقـد المرءكرامتـه، أمـا العـار فهـو الأسـوأ. لـدينا مثـل يقـول "بـدون شـرف، لا قيمـة لهـذه الدنيا".بالرغم من أننا دائماًما نتناصبالعداء ويقاتـل بعضـناالبعض،حـتى

أنهسمينا العدو بنفس تسمية ابـن العـم "تـاربور"، إلا أننانتوحـد دائمـا معا ضد الغرباء الذين يحاولون غزو أراضـينا. جميـع أطفـال البشـتون يكـبرون مـع القصـة الـتي تـروي كيـف أن"ملالاي" ألهمـت الجيـش الأفغاني لهزيمـة البريطـانيين فـي عـام 1880 فـي واحـدة مـن أكـبر المعارك في الحرب الانجلو أفغانية الثانية.

كـانت ملالاي ابنـة راعـي فـي مايوانـد، وهـي بلـدة صـغيرة فـي السهول الجرداء غرب قندهار. عندما كانت في سـن المراهقـة، كـان كل من والدها والرجل المفترض أن تتزوج به بين آلاف الأفغان الذين يقـاتلون ضـد الاحتلال البريطـاني لبلـدهم. ذهبـت ملالاي إلـى سـاحة المعركـة مـع نسـاء أخريـات مـن القريـة للعنايـةبالجرحى وامـدادهم بالماء. لاحظتأنمواطنيها قد بدأوا يخسـرون المعركـة، وعنـدما سـقط حامل العلم رفعت حجابها الأبيض عاليا وسـارت علـى أرض المعركـة أمام القوات.

"حبيبالصغير!" صرخت. "إذا لم تسقط فـي معركـة مايوانـد،تـالله، هنالك شخص ما يحتفظ بك لتكون رمزا للعار".

قتلتملالاي تحت النيران، ولكن كلماتها وشـجاعتها الهمـت الرجـال لقلب مجرى المعركة لصالحهم حيث دمروا لواءً كـاملاً، كـانت واحـدة من أسوأ الهزائم في تاريخ الجيش البريطاني. صارالأفغانفخورين جدا بأن الملك الأفغاني السابق قد بنـى نصبالنصـرلمايواند وسـط كـابول. فـي المدرسـة الثانويـة وأنـا أقـرأ بعـض كتابـات"شـيرلوك هـولمز"، ضحكتعند ما علمت أن هذههي نفـس المعركـة الـتي أصـيب الـدكتور "واتسون" قبل أن يصبح شريكاً لرجل المباحث الكبير. نحن البشـتون نرى أنملالاي هي"جان دارك"البشتون. تم تسمية العديد من مـدارس البنات في أفغانستان تيمناً بها، لكن جدي، الذي كان عالم دين ورجل الدين بالقريـة، لـم يكـن راغبـاً فـي أن يسـميني والـدي هـذا الاسـم. "انهاسمحزين" قال. "هذا يعني الكئيب".

عندما كنت طفلة كان والدي يغني لي أغنية كتبهـا شـاعر بيشـاور الشهير "رحمة شاه صايل". ينتهيمقطعها الأخيربالأبيات التالية:

يا ملالاي المايواندية،
انهضي مرة أخرى لتجعلي البشتون يفهمون أغنية الشرف،
كلماتك الشاعرية تدور حولها عوالم،
أتوسل إليك، أن تنهضي مرةً أخرى.

كان والدي يحكي قصة ملالاي لكلمن يجئ إلى منزلنا. كنت أحـب سماع القصة و الأغاني التيغناهـالي والـدي، والطريقـة الـتي يسـريبها اسمي في الأثير عندما يذكره الناس.

كنا نعيش في أجمل مكان فـي العـالم. وادينـا، وادي سـوات، هـو مملكـة الجبـال الرائعةوالشـلالات المتدفقـة والبحيـرات البلوريـة الصـافية. **(مرحبـاً بكـم فـي الجنـة)**، كتبـت علـى لوحةفيمـدخل الوادي. في الأيامالخوالي كان وادي سـوات يسـمى "اوديانـا"، والـتي تعني "الحديقة". لدينا حقول من الزهور البرية وبساتينالفاكهة اللذيذة ومناجم الزمرد والأنهار المليئةبسمك السلمون المرقط. في كثير من

الأحيان يسميالناس سوات بسويسرا الشرق - حتى أنه كان لدينا أول منتجع للتزلج على الجليد في باكستان. كان يأتي أغنياء باكستان في أيام العطلات للتمتع بالهواء النقي والمناظرومهرجانات "سوفي" للموسيقى والرقص. وكذلك كانيفعل الكثير من الأجانب، الذين كنا نسميهم "أنجرزان" - "الإنجليز" –من أي جهة كانوا. حتى ملكة انجلترا جاءت، وأقامت في القصر الأبيض الذي بني من نفس الرخام الذي بني منهالتاج محل بواسطة ملكنا الولي الأول لسوات.

أيضاً لنا تاريخ خاص. اليوم سوات هو جزء من إقليم "خيبر باختونخوا"، وتعني منطقة البشتون،كما يطلق عليه الكثير من الباكستانيين، ولكن سوات كانت منفصلة عن بقية باكستان. في ما مضى كنا دولة أميرية، وهي جزء من ثلاثة أجزاءمع أراضي"شيترال" و"دير"المجاورة. في زمن الاستعمار كانملوكنايدينون بالولاء للبريطانيين ولكنهم كانوايحكمون أراضيهم بأنفسهم. عندما منح البريطانيون الهند استقلالهافي عام 1947 وقسموها، ذهبنا مع باكستان التي أنشئت حديثا ولكن ظللنانتمتع بالحكم الذاتي. كنا نستخدم الروبية الباكستانية، ولكنالحكومة الباكستانيةكانتلا تستطيع أنتتدخل الافي السياسة الخارجية. كان الواليييقيم العدل، ويحافظ علىالسلم بين القبائل المتحاربة ويجمع العشور(ضريبة قدرها عشرة في المائة من الدخل)والتي منهاشيدت الطرق والمستشفيات والمدارس.

نحن على بعد مائة ميلفقط من العاصمة الباكستانية اسلام اباد حيث يطير الغرابولكنهيشعر كما لو كان في بلد آخر غير بلده. تستغرق الرحلة بالبر خمس ساعات على الأقل من خلال ممر "مالاكاند"، عبر تجويفهواسعة من الجبال حيث قاد أجدادنا،منذ فترة طويلة، واعظ يدعى الملا سعيدالله (المعروف من قبل البريطانيين بالفكيالمجنون) والذي قاتل القوات البريطانية بين القمم الصخرية. وكان من بين صفوفها ونستون تشرشل، الذي ألف كتابا عن تلك المعركة، ولا زلنا نسمياحد هذهالقمم وتد تشرشل على الرغم من انه لم يكن محبوباًلدى شعبنا. يقعفي نهاية الممر ضريح القبة الخضراء حيث يقوم الناسبإلقاء النقود حمداً وشكراً على سلامة الوصول.

لم اكنأعرف شخصاً قد قام بالسفر لإسلام أباد. قبل أن تأتي المشاكل، معظم الناس، مثل والدتي، لم يخرجوا ابداً من سوات.

كنا نعيش في مينجورا، أكبر مدينة في الوادي، في الواقع هي المدينة الوحيدة. كانت مكاناً صغيراً، لكن الكثير من الناس قد انتقل اليها من القرى المحيطة، مما جعلها قذرة ومزدحمة. بها فنادق، وكليات وملعب للجولف وبازار شهير لشراء الملابس المطرزةالتقليدية، والأحجار الكريمة و أي شيء يمكن ان يخطر على بالك.يتهادى نهر"مارغزار" ويتثنى في مسيرته من خلالها، بلونه الأبيض البني من جراء الأكياس البلاستيكية والقمامة التي تلقى فيه. وهو ليس صافياً مثل الأنهارالتيبالمناطق الجبلية أو مثل نهر سوات

الواسع خارج المدينة، حيث كان الناس يصطادون سمك السالمون المرقط، وكنا نقوم بزيارته في أيام العطلات. بيتنا كان في "جول كادا"، والتي تعني "مكان الزهور"، ولكن كان يطلق عليها"بوت كارا"، أو "مكان التماثيل البوذية". بالقرب منزلنا هنالك حقل كانت تتناثر فيه أطلال غامضة - تماثيل لأسود تجلس على أفخاذها، أعمدة مكسرة، أشكال مقطوعة الرأس، والشيء الأكثر غرابةً، مئات المظلات الحجرية.

دخل الإسلام إلى وادينا في القرن الحادي عشر عندما غزانا السلطان محمود الغازني من أفغانستان وأصبح حاكمنا، ولكن في العصور القديمة كانت سوات مملكة بوذية. لقد وصل البوذيون الى هنا في القرن الثاني وحكم ملوكهم الوادي لأكثر من 500 سنة. كتب مستكشفون صينيون قصصاً عنوجود 1400ديرأبوذياًعلى طول ضفاف نهر سوات، وكيف كان صوت أجراس المعبد ساحراًوهي تقرع عبر الوادي. تحطمت المعابد منذ فترة طويلة، ولكن أينما تذهب في وادي سوات تقريباً، وسط جميعأزهار الربيع والزهور البرية الأخرى. في كثير من الأحيان نخرج في رحلة بين المنحوتات الصخرية لبوذا الممتلئ الجسم،يجلس القرفصاء على زهرة اللوتس وهو مبتسم. تروي العديد من القصص أن الإله بوذا نفسه جاء إلى هذاالمكان لتوفر مثل هذا السلام فيه، ويقال أن بعض من رماده دفن في مزار بوذيعملاق بالوادي.

كانت أطلال "بوت كارا" بالنسبة لنا مكاناًخلاباً للعب الاستغماية. في يوم ماوصل بعض علماء الآثار الأجانب للقيام ببعض الأعمال هناك، واخبرونا أنه في الأزمنة الغابرة كان هذا مكاناًللحج، ملئبالمعابد الجميلة ذاتالقباب الذهبيةيتم دفن الملوك البوذيين فيه. كتب والدي قصيدة "قطع بوت كارا الأثرية"، والتي لخص فيهابصورة متقنة كيف يمكن للمعبد والمسجد أن يتواجدا جنبا إلى جنب: "عندما يرتفع صوت الحق من المآذن، بوذا يبتسم، وتعيد سلسلة التاريخ المكسورة التحامبعضها ببعض مرةً أخرى".

كنا نعيش في ظلال جبال"هندوكوش"، حيث كان الرجال يذهبونلاصطياد الوعول والديوك الذهبية.كان بيتنا يتكونمن طابق واحد من الخرسانة. على اليسار كان هناكدرجيصل إلى سقف مسطح كبير يكفي بالنسبة لنا كأطفال للعب الكريكت فيه، كان السطح هو ملعبنا. عند الغسق غالبا ما يجتمع والدي وأصدقائه للجلوس وشرب الشاي هناك. أحيانا اجلس على السطح،وأشاهد الدخان المتصاعد من نيران الطبخ في كل مكان والاستماع إلى جلبةالصراصير ليلاً.

وادينا مليء بأشجار الفاكهة،ينمو فيه أحلى تين ورمان وخوخ، و كان ينبتفي حديقتنا العنب والجوافة والكاكي. كانت هناك شجرة برقوق في ساحتنا الأمامية تثمرألذ فاكهة. كان هناك سباقدائمبيننا والطيور للحصول عليها. أحبت الطيور تلك الشجرة،بما فيها نقار الخشب.

لطالما أستطيع أن أتذكر حـديث والـدتي إلـى الطيـور فـي الجـزء الخلفي من المنـزل كـانت هنـاك برنـدة حيثالنسـاءتجتمع. كنـا نعـرف الحالة التي يكون عليها الشخص عند ما يكون جائعا،لذا كانت والـدتي دائما ما تطبخ طعاماً أكـثر مـن حاجتنـا وتقـدمه للأسـر الفقيـرة. وإذا تبقى أي شيء منه كانت تقدمه طعاماًللطيور. في الباشتو نحن نحـب أن نـدوبي(قصـائد مـن بيـتين)؛وعنـد مـا تنـثر والـدتي الأرز للطيـور كانتتغني: "لا تقتل الحمائم في الحديقة /أنت تقتل واحدة وسوف لـن تأتي الأخريات".

كنت أحبالجلوس علـى السـطح ومشـاهدة الجبـال واحلـم. أعلـى جبـل هـو جبـل "إلـوم"الهرمـي الشـكل. وهـو بالنسـبة لنـا جبلاً مقدساًوعالياًدائماًما يتوشحبقلادة من الغيوم الناعمة كالصـوف. حـتى في الصيف تجده مكسـياًبالثلوج. تعلمنـا فـي المدرسـة أنـه فـي عـام 327 قبل الميلاد، وحتى قبل مجيء البـوذيين إلـى "سـوات"، اجتـاح الإسـكندر الأكـبر الـوادي بـآلاف الفيلـة والجنـود فـي طريقـه مـن أفغانستان إلى السند. فر شعب سوات إلـى أعلـى الجبـل، معتقـدين أنآلهتهم سوف تحميهممحيث أنالجبل كانعالياً جدا. ولكـن الإسـكندركان قائداً مصمماً وصبوراً. قام ببنـاء منحـدر خشـبي يمكـن أن تصـل منـه المقاليع و السهام إلى قمة الجبل. ثم صعد إلى أعلىلكي يتمكـن مـن الامساكبكوكب المشتري باعتباره رمزا لقوته.

كنـت إشاهدمنسـطحمنزلنا الجبـال تتغيـر مـع الفصـولوفي فصـل الخريف تأتي الرياح الباردة. في الشتاء كل شيء كان كالثلج الأبيض، رقاقات الثلج الطويلة المتدلية من السقف مثـل الخنـاجر، والـتي كنـا نحـب أن نفرقعهـا. كنانتسـابق هنـا وهنـاك، ونبنيرجـال الثلـج ودببـة الجليدونحاولالامساكبرقائق الثلج. يحل فصل الربيع عندما يكون وادي سـوات فـي أبهـى خضـرته. تتفتـح زهـور الكـافور داخـل المنـزل ويكسياللون الأبيض كل شيء، ويحمل النسيم رائحة لإذعة من حقول الأرز. لقـد ولـدت فـي الصـيف، وربمـا كـان هذاسـبباًفي أن يكونهـو فصلياًلمفضـل فـي السـنة.برغـم مـن أنالصـيف فـي "مينجـورا" حـار وجاف،إلا أنالنهر ينفث رائحة كريهة حيث يغرق الناس نفاياتهم فيه.

عنـدما ولـدت كنـا فقـراء جـدا. والـدي وصـديقه قامـا بتأسـيس مدرستهم الأولى، وعشنا في كوخ رث من غرفتين مقابـل المدرسـة. كنت أنام مـع أمـي وأبـي فـي غرفـة واحـدة وكـانت الغرفـة الأخـرى للضيوف. لم يكن لدينا حمام أو مطبخ، وكـانت أمـي تطبـخ علـى نـار الخشب على الارض وتغسـل ملابسـنا تحـت الصـنبور فـي المدرسـة. كان بيتنا دائما مليئاًبالزائرين من القرية. الضيافة جزء مهم في ثقافـة البشتون.

بعد عامين من مولديولـد أخـي "خوشـال". لقـد ولـد فـي المنـزل مثلي حيث كنا لا نستطيع تحمل نفقات المستشفى، وسمي"خوشال" مثل اسم مدارس والدي، تيمناً ببطل البشتون "خوشال خان ختـاك"، المحارب الذي كان شاعرا أيضا. كانت أمي تنتظر ولـدا ولـم تسـتطع إخفاء سعادتها عندما ولد. كان بالنسبة لي ضعيفاً جـدا وصـغيراً، مثـل

القصبة التي قدتتكسر في مهب الريح، لكنه كان قرة عينها. يبدو لي أن رغباته تعتبرأوامر بالنسبة لها. كان يرغب في شرب الشاي في كل وقت، الشاي التقليدي الذي نشربه مع الحليب والسكر والحبهان، ولكن والدتي تعبت حتى من هذا، وفي نهاية المطاف كانت تعده ماسخابعض الشيء لدرجة انه فقد الرغبة في شربه. أرادت أن تشتريله سرير أطفال جديد - عندما ولدت لم يستطع والدي شراءواحد لي،لذاكانوا يضعونني فيسرير خشبي قديم أخذوه من الجيران، كان بالفعل مستعملاً للمرةالثالثة أو الرابعة - ولكن والدي رفض وقال "تأرجحت ملالا في ذلك السريرويمكنه أن يفعل ذلك أيضاً". بعد ما يقارب الخمس سنوات، ولد صبي آخر –"أتال"، مشرق العينين وفضولي مثل السنجاب. بعد ذلك قال والدي، لقد اكتملنا. ثلاثة أطفال هي عائلة صغيرة بمعايير مواطني سوات، حيث يكون لدى معظم الناس سبعة أو ثمانية أطفال.

غالباً ما كنت ألعب مع "خوشال" لأنه يصغرني بعامين فقط، ولكن كنا نتشاجر دائماً، وكان يذهب إلى والدتي باكياً وأذهب أنا إلى أبي. "ماذا حصل، يا عزيزتي؟" أبي يسألني. لقد ولدت بمفاصل مرنةمثله،ويمكننيثني أناملليللوراءللحد الذي تلامس فيه أناملي رسغي. ويطقطق كاحليّ عندما أمشي، الأمر الذي يجعل الكبار يرتبكون.

والدتي جميلة جدا ووالدي يعشقها كما لو كانت مزهرية رقيقةمنالصيني،ولم يمد يده عليها أبدا، على عكس العديد من رجالنا. اسمها "تور بكاي" يعني "ريش الغراب" على الرغم من أنلون شعرها كستنائي بني. كان جدي "جانسر خان"يستمع لراديو أفغانستان قبل مولدهابفترة وجيزة حيث سمع هذا الاسم. تمنيت لو كان لي بشرتها الزنبقية البيضاء، والتقاطيع الدقيقة والعيون الخضراء، ولكني بدلا من ذلك ورثت بشرة شاحبة، أنف عريضوعينين بنيتين من والدي. في ثقافتنا كل منا له لقب - بجانب لقب"بيشو" الذيأطلقته علي والدتي منذ أن كنت طفله، كان بعض أبناء خالييسموني "لاتشي"، وهو الحبهان بلغة البشتون. غالبا ما يطلقون على الناس اصحاب البشرة السمراء"البيض"وعلى قصار القامة"الطوال". نتمتع بروح دعابةهزلية. كان يعرف والدي في الأسرة ب"كايستا دادا"، والذي يعني الجميل.

عندما كنت في الرابعة من عمري تقريباً سألت والدي: "أبي، ما هو لونك؟" قال لي: "أنا لا أعرف، قليل من البياض، قليل من السواد".

"مثل ما يمزج الشخص الحليب مع الشاي" قلت له.

ضحك كثيرا، ولكنه عندما كان صبيا كان خجولاً عن كونه صاحببشرة داكنة حتى أنه ذهب إلى الحقول للحصول على حليب الجاموس ليغسل به وجهه، ظناً منهبأنه سوف يجعل لونه فاتحاً. فقط عندما التقى بوالدتي اصبح مرتاحاً للون بشرته. أن تحبه مثل هذه الفتاةالجميلةاكسبه ثقة بنفسه.

فـي مجتمعنـا عادةمـا يتـم ترتيـب الزواجبواسـطة الأسـر، ولكـن الذيكان بينهما هو مباراة في الحب. استطيع الاستماعلما لا نهاية إلـى قصة لقاءهما. جاءا مـن القـرى المجـاورة فـي واد بعيـد فـي سـوات العليا يسمى "شانجلا"وكان يرى كـل منهمـا الآخروذلـك عنـدما ذهـب والدي إلى منزل عمه للدراسة، الذي كان يجـاورمنزل عمـة والـدتي. لقدلمح كل منها الآخربما يكفـي ليعرفـا أنهمايحبـان بعضـهما البعـض، ولكـن بالنسـبة لنـا فـإن التعـبير عـن مثـل هـذه الأمـور يعتـبر مـن المحرمات،وعوضاًعن ذلك بعث لها بقصائدلم تستطع قراءتها.

هي تقول "أعجبت بعقله".

"وأنا بجمالها" وهو يضحك.

كانت هناك مشكلة واحدة كبيرة، وهـي أنأجـداديالاثنين لا يتفقـان. لذلك عندما أعلن والدي عنرغبته في طلب يد والدتي، تور بكاي، كان واضحا أن أيا من الطرفين سوفلنيرحبوابالزواج. قال والـده إن الأمـر متروك له ووافق على إرسال أحد الحلاقين كرسـول، وهـي الطريقـة التقليديـة الـتي نقـوم بهـا نحـن البشـتون. رفـض "مالـك جانسـر خان"عـرض الـزواج، ولكـن والـدي رجـل عنيـد وأقنـع جـدي لإرسـال الحلاق مرة أخرى. كانت حجرة جانسر خان"هجرة" مكان يتجمع فيـه الناس للحديث عن السياسة، وكثيرا ما كان والدي يذهب إلـى هنـاك، لذا من المفترض أن يعرف كل منهما الآخـر. لقـد جعلـه ينتظـر فـترة تسعة أشهر،لكنهفي النهاية وافق.

تنحدر أمي من عائلـة تتمتعنسـاءها بـالقوة فضـلا عـن رجالهااصـحاب النفوذ. جدتها –جدتي الكبرى - ترملت عندما كان أبنائها صغاراً، وابنها الأكبر "جانسر خان"محبوساً بسبب نزاع قبلي مع عائلة أخرى عنـدما كـان فقـط فـي التاسـعة مـن عمـره. لإطلاق سراحهسـارت مسافةأربعينميلاًبمفردها فوق الجبال لمناشدة ابن عمهـا الـذي كـانله نفوذ. أتوقعأن تفعل أمي نفس الشيء من أجلنا. على الرغم من أنهـا لا تستطيع القـراءة أو الكتابـة، كـان والـدي يشـركها فـي كـل شـيء، يخبرهـا كيـف قضـى يـومه، الخيـر والشـر. انهـا تغيظـه كـثيراًوتعطيه النصيحة حول الشخصالذيتعتقد أنه صديق حقيقي والشخص الذي غير ذلك، ويقول والـدي هـي دائمـا علـى حـق. معظـم رجـال البشـتون لا يفعلون ذلك أبداً، حيث يـرون أنإشـراك النسـاء فـي المشـاكل يعتـبر ضـعفاً. "حـتى انـه يسـأل زوجتـه!" يقولونهاكإهانـة. أنـا أرى أنوالدايسعيدان ويضحكان كثيرا. عند ما ينظر الينا الناس يقولون نحن عائلة لطيفة.

والدتي متدينة جدا وتصلي الصلوات الخمس المفروضـة، وإن لـم يكن ذلك في المسجد، لأنه فقط للرجال. تستهجن الرقص لأنها تقول انه مكروهوالله لا يحب ذلك، ولكنها تحب أن تتزين بالأشياء الجميلـة، والملابس المطرزة والعقود والأساور الذهبية. أعتقد أن ذلك اصـابني بقليل من خيبة أمـل نحوهـاحيث أننـي مثـل والـدي لا أهتـم للملابـس والمجوهرات. يصيبني الملل عند الـذهاب الـى السـوق ولكنـي أحـب الرقص وراء الأبواب المغلقة مع أصدقاءالدراسة.

نشأنا، ونحن أطفال حيثأمضيناجل وقتنا مع والدتنا. كان والدي يخرج كثيراًلكونه مشغولاً، ليس فقط بمدرسته، ولكن أيضا مع الجمعيات الأدبية والمجالسالقبلية "جيرقاس"،فضلاً عنمحاولاتهالمحافظة على البيئة، في محاولة لإنقاذ وادينا. جاء والدي من قرية متخلفة،ومع ذلك من خلال التعليم وقوة الشخصية استطاع أن يوفر لنا عيشةً هنية ويخلق لنفسه اسماً.

كان الناس يحبون الاستماعلحديثه، وأناأحب المساء عندما يزورنا الضيوف، كنا نجلس على الأرض حول قطعةطويلة من البلاستيك تضع والدتي الطعام عليها، ونأكل باليد اليمنى كما هي عادتنا، نكور الأرز مع اللحم. عندما يحل الظلام نجلس على ضوء مصابيح الزيت، نطرد الذباب بعيدا بينما يرسم خيالناظلال راقصة على الجدران. في أشهر الصيف غالبا ما يدويهزيمالبرق والرعد بالخارج، وعندهاأقوم بالزحف قريباً منركبة والدي.

كنت استمع بفكر سارح عندما يحكي قصص القبائل المتحاربة، قادة البشتون ورجال الدين، غالبا من خلال القصائد التي كانيقرأها بصوت شجي، أحيانا يبكي وهو يقرأ. مثل معظم الناس في وادي سوات نحن من قبيلة يوسفزاي. نحن اليوسفزاي (والتي ينطقها بعض الناس يوسوف زاي أو يوسف زاي) أصلا من قندهار،ونعد واحدة من أكبر قبائل البشتون المنتشرة عبر باكستان و أفغانستان.

جاء أجدادنا من كابول إلى سوات في القرن السادس عشر، حيث قاموا بمساعدة إمبراطورتيموربااسترداد عرشه وذلك بعد أنعزله أبناء قبيلته. كافأهم الإمبراطور بمناصب هامة في البلاط الامبراطوري والجيش، ولكن أصدقاؤه وأقاربه حذروهأن قبيلة يوسفزاي قد اصبحت قوية بحيث أنه يمكنهاالاطاحة به. وفي أحد الأمسيات دعاجميع اعيان القبيلة لمأدبة،وهجم رجاله عليهم بينما هم يأكلون. ذبح حوالي 600 من الاعيان. نجا اثنان فقط وهربا إلى "بيشاور" مع رجالهم من القبائل. بعد فترة من الزمن ذهبوا لزيارة بعض القبائل في وادي سوات لكسب دعمهم حتى يتمكنوا من العودة إلى أفغانستان. لكنهم بدلا من ذلك فتنوا بجمال سوات وقرروا البقاء هناك، واجبروا القبائل الأخرى على الخروج منها.

قسمت يوسفزاي كل الأرض بين افرادها الذكور من القبيلةوفق نظام غريب يسمى "ويش"،والذي بموجبه تتبادل كافة الأسر قراها التي تسكنهاكل خمس أو عشر سنوات،ويعاد توزيع أراضي القرية الجديدة بين الرجال بحيث يأخذ الجميع فرصة العمل في الأراضيالجيدة فضلاً عن الأراضي السيئة. كانتتعتقد أن هذا قد يمنع العشائر المتنافسة من القتال. كانت القرى تحكم بواسطة الخانات، أما عامة الناس والحرفيين والعمال هم المستأجرين. فقد كانوا يدفعون لهم الإيجار عينياً، عادة حصة من محاصيلهم. كان عليهم أيضا مساعدة الخانات بتشكيل ميليشيا من خلال توفير رجل مسلح لكل قطعة صغيرة من الأرض.كان كل خان يحتفظ بمئات من الرجال المسلحين لفض النزاعات ومداهمة ونهب قرى أخرى على حد سواء.

بما أنه لم يكن هناكأي حاكم ليوسفزاي في سوات، كانت هناك نزاعات مستمرة بين الخانات وحتى داخل أسرهم الخاصة. جميع رجالنا لديهم بنادق، ومع ذلكلا يتجولون بهاكما يفعلون هذه الأيام في مناطق البشتون الأخرى، وكان جدي الأكبر يسرد القصص عن المعارك بالأسلحة النارية عندما كان صبيا. في السنوات الأولى من صدر القرن الماضي اصبحوا قلقين من استيلاء البريطانيين علي أراضيهم، حيث سيطرواعلي معظم الأراضي المحيطة بهم. أيضا أصابهم الإرهاق من إراقة الدماء الذي لا نهاية له. لذا قرروا محاولة إيجاد رجل نزيه يحكم المنطقة كلها و يعمل على حل نزاعاتهم.

بعد تجربة اثنين من الحكام اللذان لم ينجحا،استقر رأي الأعيان في عام 1917 على رجل يدعى "ميانجول عبد الودود"ليكون ملكا عليهم. نحن نعرفه باسم "بادشاه صاحب"وهو الاسم الذي تطلقه عليه الاسرة، وعلى الرغم من انه كان أمياً تماما، تمكن من إحلال السلام في الوادي. أن تأخذ بندقية من البشتون كأنك أخذت حياته، لذا لم يتمكن من نزع سلاح القبائل. بدلا من ذلك قام ببناء الحصون في كافةالجبال عبر وادي سوات وأنشأ جيشاً. اعترف بهالبريطانيون رئيسا للدولة في عام 1926 وتم تثبيتهكوالي، وهو اسمالحاكم. أقام أول نظام للهاتف وبنى أول مدرسة ابتدائية وانهى نظام "ويش"لأن التنقل المستمر بين القرى يعني عدمتمكن المرء من بيع الأراضي أو قد لا يكون لديه أي حافز لبناء منزل أفضل أو زراعة أشجار الفاكهة.

في عام 1949، بعد عامين من تأسيس باكستان، تنازل الملك لصالح ابنه الأكبر "ميانجول عبد الحق جيهانزيب". والدي دائما يقول، " بينما جلب بادشاه صاحب السلام، حقق ابنه الازدهار". نعتقد أن عهد "جيهانزيب"كان فترة ذهبية في تاريخنا. وكان قد درس في المدرسة البريطانية في بيشاور، وربما لأن والده كان أمياً، كان هومتحمساً للمدارس وبنىالكثير منها، وكذلك المستشفيات والطرق. في عام 1950 ألغىالنظام الذي يدفع الناس فيه الضرائب للخانات لكن لم تكن هناك حرية للتعبير، وإذا انتقد أي شخص الوالي، يمكن أن يطرد من الوادي. في عام 1969، وهو العام الذي ولد فيه والدي، سلم الوالي السلطة وأصبحنا جزءا من مقاطعة الحدود الشمالية الغربية لباكستان، التي غيرت اسمها قبل بضع سنوات إلى "خيبر باختونخوا".

لذلك أنا ولدت ابنة فخورة بباكستان، مع ذلك، مثل كل "السواتيين" فكرت في نفسي أولا "كسواتية" ثم بعد ذلك"بشتونية"، قبل أن اكون باكستانية.

بالقرب منا وعلى شارعنا كانت هناك أسرة لديها فتاة في نفس عمري تدعى "سافينا" وصبيين في سن مماثلة لإخواني، "بابار"و"باسط". كلنا نلعب الكريكت في الشارع أو على أسطح المنازل معا، ولكن كنت أعرف أنه عندما تكبر أعمارنا،يتوقع أن تبقى البنات بالداخل. يتوقع منأن نطهي الطعامونخدم إخوتنا وآباءنا،بينما يمكنللفتيان والرجال أن يتجولوا بحرية حول المدينة، والدتي وأنا لا

يمكننا أن نخرج من دون مرافقة أحد الأقارب الـذكور، حـتى لـو كـان صبيا يبلغ من العمر خمس سنوات! كانت تلكهي التقاليد.
قررت منذ وقـت مبكـر أن لا أكـون مثـل ذلـك. كـان والـدي دائمـاً يقول، "ستكون ملالا حرة كالطائر". حلمت بالذهاب الـى قمـة جبـل "إلوم" مثل الإسكندر الأكبر للمس المشتري وحـتى مـا وراء الـوادي. ولكـن، عنـدما شـاهدت إخـوتي يركضـون عـبر السـقف، يطيـرون طـائراتهم الورقيـة ويحركـون الخيوطبمهـارة ذهابـا وإيابـا لإسـقاط طائرات بعضهم البعض، كنت أتساءل إلـى أي مـدى يمكـن أن تكـون البنت حرة.

2
أبي الصقر

لطالماكنت اعلم ان والدي لديه مشكلة مـع الكلمـات. فـي بعـض الأحيان تتعثر ويبدأ في تكرار نفـس المقطـع اللفظـي مـرارا وتكـرارا مثل اسطوانةعلقت في احـد تجاويفهـا ونحـن جميعـا ننتظـر المقطـع القادمليخرجفجأة، يقول إنه يشعر به مثل جدار يسقط فـي حنجرتـه. حروف "الأم، البي والكى: M,B,K" كانت جميعها اعـداء تـتربص بـه . لقد مازحتهبأن أحد الأسباب الـتي دعتـه يسـميني"جـاني"لأنـه وجـدها أسهل من أن يقول لي ملالا. التأتأة شيء فظيع لرجل يحب الكلمـات والشـعر.فـي كـل جـانب مـن جـانبي الأسـرة كـان لـديهعمبه نفـس البلاء،ولكن من المؤكد أنهازداد سـوءا مـن جـانب والـده، الـذي كـان صوتهمثل جهاز تكبير الصوت، يمكن أن يجعل الكلمات كصوت الرعد والرقص.
"أبصقها يا ابني!" كان يزأر كلما تعثر والدي في منتصـف الجملـة. كان اسم جدي"روح الامين"، وهو يعني "أميـن الـوحي " وهـو الاسـم المقدس للملكجبريل (سيدنا جبريل). كان فخـورا جـدا بالاسـم حـتى وأنه كان يقدم نفسـه للناسـبالآية الشـهيرة الـتي يظهـر فيهـا اسـمه. وكان رجل ضـيق الصـدر فـي أفضـل الأوقـات، ويشـتاط غضـباً لأقـل شـيء - مثـل الدجاجـة الضـالة أو الكـوب الذييتكسـر. يحمـر وجهـه ويقذفبالأواني والقدور هنا وهناك. لم أكن أعرف جدتي، ولكن والـدي يقول انها دائماً تمزح مع جدي وتقول له، "والله، مثلمـا انـك لا تلقـي علينا التحية إلابوجه عبوس، أسأل الله عندما أموت أن يعطيك زوجـة لاتبتسم أبدا".
كانت جدتي قلقة جدا منتأتأة والدي،حتى أنـه عنـدما كـان لا يـزال صبيا صغيرا أخذته ليتم فحصه بواسطة رجل دين. كانت رحلة طويلـة بالحافلة، ثم سيراً على الأقـدام لمـدة سـاعة إلـى أعلـى التـل حيـث كانيسكن رجل الدين(الفكي). كـانعلى ابـن أخيهـا "فضـلي حكيـم"أن يحمل والـدي علـى كتفيـه. رجـل الـدين اسـمه"فكـي ليوانـو"، فكـي المجانين، لأنه قيل بأنه قادر على تطـبيب المجـانين. عنـدما أخـذوهم للداخل لرؤية "الفكي"، أمر والديبفتـح فمـه ثـم بصـق فيـه. ثـم أخـذ بعض "الغور" أي المـولاس: وهـو الـدبس الداكنالمصـنوع مـن قصـب السكر، ولفهحول فمه لترطيبه مع البصاق. ثـم أخـرج هـذه الحصـيلة

وقدمها إلى جدتي لإعطاء والدي قليلا منها كل يوم. لم يشفالعلاج والديمن التأتأة. في الواقع يعتقد بعض الناس أن ذلك زادهسوءاً. عندما كان والدي في الثالثة عشر وأخبر جدي بأنه ينوي الدخول في منافسة الخطابة، أصاب جدي الذهول. "كيف يمكنك ذلك؟" سأل روح الامينضاحكاً. "أنت تأخذ دقيقة أو دقيقتين لتنطق جملة واحدة فقط".

"لا تقلق"، أجاب والدي. "أنت تكتب الخطبة وأنا أحفظها عن ظهر قلب".

كان جدي مشهوراً بخطبه حيث كان يدرّس علم التوحيد في المدرسة الثانوية الحكومية في قرية شاهبور وإماماً في مسجد محلي. وكان متحدثاً بارعاً وكانت خطبه في صلاة الجمعة مشهورة لدرجة أن الناس كانوا ينزلون من الجبال على ظهور الحمير أو سيرا على الأقدام للاستماع اليه.

ينحدر والدي من عائلة كبيرة. لهأخ واحد يكبره كثيراً في العمر، "سعيد رمضان" الذي أسميه عم "خان دادا"، وخمس شقيقات. كانت قريتهم "باركانا"بدائية جدا وعاشوا محشورين معا في بيت قديم متهالك من طابق واحد سقفه من الطين الذي يسرب الماء كلما نزل المطر أو تساقط الثلج. كما هو حال معظم الأسر، تبقى الفتيات في المنزل بينما يذهب الأولاد إلى المدرسة. "كنّ فقط في انتظار الزواج "، يقول والدي.

لم تكن المدرسةهي الشيء الوحيد الذي فقدته عماتي. في الصباح عندما يعطى والدي قشدة أو حليب، تعطي شقيقاته الشاي بدون حليب. إذا كان هناك بيضهو من نصيبالأولادفقط. عندما تذبح دجاجةلوجبة العشاء، تتحصل الفتيات على أجنحتها وعنقهابينما يتمتع بلحم الصدرالشهيوالدي وشقيقه وجدّي. "منذ وقت مبكر كنت أشعر بأني مختلف عن شقيقاتي"، يقول والدي.

هناك قليلمن الأشياء التييمكن القيام بها في قرية والدي. كانت ضيقة للغاية حتى بالنسبة لملعب كريكت،وهناك عائلة واحدة فقط لديها تلفزيون. يوم الجمعة يزحف الاخوة الى المسجد ويشاهدونبإعجاب وقوف جدي في المنبر ووعظه للمصلين لمدة ساعة أو نحو ذلك، ينتظرونااللحظة التي يرتفع فيها صوته الذي يكاد يهز العوارض الخشبية.

درس جدي، الذي كنت اسميه بابا، في الهند،حيث شاهدخطباءوقادة عظام بما في ذلك محمد علي جناح (مؤسس باكستان)، جواهر لال نهرو، المهاتما غاندي وخان عبد الغفار خان، قائد البشتون العظيم الذين ناضل من أجل الاستقلال،أيضاً شهد لحظة التحرر من الاستعمار البريطاني في منتصف ليل 14 أغسطس 1947. كان لديه جهاز راديو قديم، لا يزالبحوزةعمي، والذي كان يحب الاستماع إلى الأخبار منه. كانت خطب جدي عادةً ماتوضحبأمثلة من الأحداث العالمية أو الأحداث التاريخية وكذلك قصص من القرآن والحديث، أقوال النبي (صلي الله عليه وسلم).

أيضا كان يحب الحديث عن السياسة. أصبح وادي سوات جزءاً من باكستان في عام 1969، وهو العام الذي ولد فيه والدي. لم يكن العديد من مواطني سواتراغبين بذلك، يشكون من النظام القضائي الباكستاني، إذ يقولون بأنه أبطأ وأقل فاعلية من نظمهم القبلية القديمة. كان جدي يشجب النظام الطبقي، والسلطة المستمرة للخانات و الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكون.

قد لا يكون بلدي من البلاد القديمة جدا ولكن للأسف كان لديه تاريخ من الانقلابات العسكرية، وعندما كان والدي في الثامنة من عمره،استولى جنرال يدعى ضياء الحق على السلطة. العديد من صوره لا تزال موجودة. كان رجلا مخيفا،ترتسم حول عينيه ظلال داكنة مثل حيوان الباندا ، وأسنان كبيرة على ما يبدو تقف في حالة تأهبوشعر ممسح بالدهان على رأسه. اعتقل رئيس وزراءناالمنتخب، ذو الفقار علي بوتو، وحاكمه بتهمة الخيانة حيثتم شنقه من على سقالة في سجن "روالبندي". حتى اليوم الناس يتحدثون عن السيد بوتو بأنه رجل صاحب كاريزما عالية. يقولون انه كان أول زعيم باكستاني يقف من مقعده لعامة الناس، بالرغم من أنه كان إقطاعي يملكاراضيالشاسعة من حقول المانجو. إعدامه صدم الجميع وجعل باكستان تبدو سيئة في نظر العالم، وقطع الأمريكان مساعداتهم.

في محاولته للحصول على دعم الناس في الداخل، أطلق الجنرال ضياء الحق حملة أسلمة الدولة لتجعلنا قطر مسلم مثاليويكون الجيش مدافعاً عن عقيدةبلدنا فضلا عن الحدود الجغرافية. قال لشعبنا أنه من واجبهم أن يطيعوا حكومته لأنهاتتبع المبادئ الإسلامية. أراد ضياء الحق أن يملئ علىناحتى كيف ينبغي أن نصلي، وكون ما يسمى"صلاة" أو لجان الصلاة في كل منطقة، حتى في قريتنا النائية، وعين 100,000مفتشاًللصلاة. قبل ذلك، كان رجال الدين في الغالب شخصيات هزلية - قال والدي: في حفلات الزفاف كان هؤلاء يتسكعونفي أحدالزواياويغادرون المكان في وقت مبكر- ولكن في عهد ضياء أصبحوا متنفذينوتم استدعاءهم الى اسلام اباد لتوجيههم بشأن الخطب. حتى جدي ذهب معهم.

في ظل نظام ضياء الحق أصبحت حياة النساء في باكستان أكثر تقييداً من قبل. قال جناح، "لا يمكن أن ينجح النضال أبداً دون مشاركة المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل. هناك نوعان من القوى في العالم؛ الأولىهي السيف، والأخرىهي القلم. هناك قوة ثالثة أقوى من كليهما، تلكم هي المرأة". لكن الجنرال ضياء الحق أدخل القوانين الإسلامية والتي خفضتشهادة المرأة في المحكمة لتعتمدكنصف شهادة الرجل. في فترة وجيزة كانت سجوننا مليئة بحالات مثل حالةالفتاة التيتبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماًوالتي تعرضت للاغتصاب والحمل،وتم إرسالها إلى السجن بتهمة الزنا لأنها لم تتمكن منتقديم أربعة شهود ذكور لإثبات أن ذلك كان جريمة. لاتستطيع المرأة حتى فتح حساب في البنك من دون إذن الرجل. نحن أمة كانت دائما مبرزة في لعبة الهوكي، ولكن ضياء الحق جعللاعبات الهوكي الإناث

يرتـدين السـراويل الفضفاضـة بـدلا عـن السـراويل القصـيرة، ومنـع النساء من ممارسة بعض الرياضاتمنعاً باتاً.
فتحت العديد من "المدرسات"(المدارس الدينيـة) فـي ذلـك الـوقت، وفـي كـل المدارسـتم تبـديل الدراسـات الدينيـة،مـا نسـميه الـدين، بالإسـلاميات، أو الدراسـات الاسـلامية، والـتي لا يـزال يتعيـن علـى الأطفال في باكستان تلقيها اليوم. تم إعادة كتابة كتب التاريخ لتصـف باكستان باعتبارها "قلعة الإسلام"، مما جعل الأمر يبـدو كمـا لـو كـان قد تم تأسيسهاقبل فترة أطول بكثير من عام 1947، ونددتبالهندوس واليهـود. أي شـخص يقرأهـا قـد يعتقـد أننـا انتصـرنا فيالثلاثـة حـروب التيواجهنا فيها عدونا العظيم الهند وخسرناها.
كل شيء تغير عندما كان عمر والدي عشر سنوات. بعد انقضـاء عيـد ميلادالعـام 1979 قـام الـروس بغزوجارتنـا أفغانسـتان. فـر ملايـين الأفغان عبر الحدود ومنحهم الجنـرال ضـياء الحـق حقـاللجوء. نشـأت مخيمات شاسعة من الخيام البيضاء معظمها حول بيشـاور، بعضـها لا يزال موجوداً حتى اليوم. اكبر جهاز اسـتخباراتنايتبع للجيـش ويسـمى جهـاز الاسـتخبارات الداخليـة، بـدأ برنامجـاً مكثفـاً لتـدريب اللاجئيـن الأفغـان الـذين تـم تجنيـدهم مـن المعسـكرات كمقـاتلي مقاومـة أو مجاهدين. بـالرغم مـن أن الأفغـان مقـاتلين مشـهورين الا أن"العقيـد إمام"المسؤول عن التدريبشكا مـن أن محاولـةتنظيمهم كـانت "مثـل وزن الضفادع".
حـول الغـزو الروسـي ضـياء الحـق مـن شـخص منبوذعالميـاً لمـدافع عظيمعن الحرية في الحرب الباردة. أصبح الأمريكان أصدقاء لنا مـرة أخرى، حيث كانتروسيا عدوهم الرئيسفي تلك الأيام. جارنا شاه إيران أطيـح بـه مـن خلال ثـورة قبـل بضـعة أشـهر،بـذلك فقـدت وكالـة الاستخبارات المركزية الامريكية القاعدة الرئيسة في الإقليـم. تـولت باكستان مكانها. تدفقت مليـارات الـدولارات إلـى خزينـة الدولـة مـن الولايات المتحدة ودول غربية أخـرى، فضـلاً عـن الأسـلحة لمسـاعدة جهاز الاستخباراتالداخليةلتـدريب الأفغـان لمحاربـة الجيـش الأحمـر الشيوعي. دعي الجنرال ضياء الحـق لمقابلـة الرئيـس رونالـد ريغـان في البيت الابيض ورئيسـة الـوزراء مـارغريت تاتشـر فـي 10 داوننـغ إستريت. لقد أغدقواعليه الثناء.
كان رئيس الوزراء ذو الفقار علـي بوتـو قـد عيـن ضـياء الحـق كقائـد للجيش لأنه كان يعتقد بأنه ليس ذكياً جـدا ولـن يشـكل تهديـدا عليـه. كان يسميه "القرد"، ولكن اتضح أن ضياء الحق رجل مراوغ جدا. لقد جعل أفغانسـتان نقطـة تجمـع ليـس فقـط للغـرب، الـذي أراد وقـف انتشـار الشـيوعية مـن الاتحـاد السـوفياتي، ولكـن أيضـا بالنسـبة للمســـلمين مـــن الســـودان الـــى طاجيكســـتان، الـــذين رأوهكقطرإسلاميشقيق يتعرض لهجوم مـن الكفـار. تـدفقت الأمـوال من جميع أنحاء العالم العربـي، وخاصـة المملكـة العربيـة السـعودية، التي أرسلت مثل ما أرسـلته الولايـات المتحـدة، بالإضـافة للمقـاتلين المتطوعين، بما في ذلك مليونير سعودي يسمى أسامة بن لادن.

نحن البشتون منقسمون بين باكستان وأفغانستان ولا نعترف حقاًبالحدود التي رسمهاالبريطانيون منذ أكثر من 100 سنة. لذاكانت دماءنا تغلي على الغزو السوفيتي لأسباب دينية وقومية،وكان رجال الدين دائماً ما يتحدثونفي المساجد عن الاحتلال السوفيتي لأفغانستان في خطبهم، يدينون الروس ككفارويحثون الناس على الانضمام إلى الجهاد، ويقولون أنه واجبهم كمسلمين صالحين. كان الجهاد في عهد ضياء الحق قد أصبحوكأنه الركن السادس من أركان ديننا على رأس الخمسة التي نشأنا على حفظها عن ظهر قلب–الايمان بالله وحده لأشريك له، الصلاة خمس مرات في اليوم، وإيتاء الزكاة أو الصدقات، - الصيام من الفجر حتى غروب الشمس خلال شهر رمضان - والحج، الحج إلى مكة المكرمة، والذي يجب على كل مسلم قادر مرة واحدة في حياته. يقول والدي أنه في هذا الجزء من العالم كانتفكرة الجهاد هذه تشجع كثيرا جداً من قبل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي آي آيه). حتى الأطفال في مخيمات اللاجئين صرفت لهمكتب مدرسية،انتجتها أحدى الجامعاتالأمريكية، تعلمهم العمليات الحسابية الأساسية من خلال القتال. كان بها أمثلة مثل، "إذا قتل 5 من 10 من الكفار الروس بواسطة واحد مسلم، يكون الباقي 5 كفار"،أو "15 طلقةناقص 10 طلقات تساوي 5 طلقات".

ذهب بعض الأولاد من منطقة والدي للقتال في أفغانستان. يتذكر والدي أنه في احد الأيامجاء مولانا،يدعى صوفي محمد، إلى القرية وطلب من الشبان الانضمام إليه لمحاربة الروس باسم الإسلام. اتبعه الكثير منهم، وانطلقوا مسلحين ببنادق قديمة أو فؤوس ومدافع بازوكا فقط. ولم نكن نعرف أنه بعد سنوات سوف تصبح نفس منظمة مولانا هي طالبان سوات. في ذلك الوقت كان عمر والدي اثني عشر عاما فقط وصغيرا جدا على القتال. لكن أنتهى الروس بأنهم ظلوا عالقين في أفغانستان لمدة عشر سنوات، خلال معظم الثمانينات، وعندما أصبح في سنالمراهقة قرر والدي أنه يريد أن يكون جهادياً أيضا. برغم ذلك أصبح أقل انتظاماً في صلاته، في تلك الأيام كان يغادر المنزل فجر كل يوم إلى المسجد في آخر القرية مشياً على الأقدام، حيث درس القرآن مع طالب كبير. في ذلك الوقتكانتكلمة طالب تعني ببساطة "طالب ديني". درسامعاًالأجزاء الثلاثونمن القرآن الكريم، ليس مجرد تلاوة ولكن أيضا تفسير، وهو شيء يفعله القليل من الفتيان.

تحدث ذاكالطالب عن الجهاد بمثل هذه العباراتالرائعة التي اصبحوالدي أسيرا لها. كان يلفت انتباه والدي بصفة مستمرة إلى أن الحياة على الأرض قصيرة وأن هنالك فرصاً قليلة للشباب في القرية. عائلتنا تمتلك القليل من الأراضي، وأبي لا يريد أن يترك الذهاب الى الجنوب للعمل في مناجم الفحم على غرار العديد من زملائه. كان ذلك من الأعمال الصعبةوالخطرة، وكانت توابيت الذين قتلوا في الحوادث تعود عدة مرات في السنة. كان أفضل ما يأمل

فيه معظم أولاد القرية الذهاب إلى المملكة العربية السعودية أو دبي والعمل في اعمال البناء. لذا بدتالجنة التي بها اثنان وسبعونمن العذارى جذابة. كان أبي يدعواللهفي كل ليلة "يا الله، أسألك أن تشعل الحرب بين المسلمين والكفار حتى أموت في سبيلكوأكون شهيدا".

لفترة من الوقت،بدت هويته الإسلامية أكثر أهمية من أي شيء آخر في حياته. بدأ يوقع اسمه "ضياء الدين بانشبيري"(البانشبيري هي طائفة دينية) وظهرتالعلامات الأولى للحيته. كان يقول، انه نوع من غسيل المخ ويعتقد انه ربما حتى فكر في أن يصبح انتحارياً،حيث كان هناك شيء من هذا القبيل في تلك الأيام. ولكن منذ سن مبكرة كان من نوع الصبيان الذين لديهم حب الاستطلاع ونادرا ما يأخذ أي شيء على قيمته الاسمية، رغم أن تعليمنا في المدارس الحكومية يعني التعلم عن ظهر قلب وليس من المفترض أن يسألالتلاميذ المعلمين.

في ذلكالوقت الذي كان يسألالله فيهبأن يذهب الى الجنة شهيدا التقى شقيق والدتي فايز محمد، وبدأيخالط عائلتها والذهاب الى "حجرة"والدها (مقر اجتماع رجال البشتون). كانوا يشاركون في السياسة المحلية، وينتمون إلى الأحزاب القومية العلمانية وكانوا ضد التورط في الحرب. وقد كتب "رحمة شاه صايل" قصيدة مشهورة في ذلك الوقت وهو نفس شاعر بيشاور الذي كتب قصيدة سمية لاسمي. ووصف ما يجري في أفغانستان بأنها "حرب بين اثنين من الفيلة "- الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي – وهي ليست حربنا، وقال نحن البشتون "مثل العشب الذي سحقبحوافر اثنين من الوحوش الشرسة". كان والدي غالبا ماينشد ليّ قصيدة عندما كنت طفلة ولكني لم أكن اعرف معناها في ذلك الوقت.

كان والدي شديد الاعجابفايز محمد ويعتقد انه كان يتحدث بكثير من المعقولية، خاصة عن الرغبة في إنهاء الأنظمة الإقطاعية والرأسمالية في بلادنا، حيث كانت نفس الأسر الكبيرة تسيطر على الأشياء لسنوات في حين يزداد الفقراء فقرا. لقد وجد نفسه ممزقا بين اثنين، التطرف والعلمانية والاشتراكية من جهة والإسلام المتشدد من جهة أخرى. اعتقد انه انتهى في مكان ما في الوسط.

كان والدي يهاب جدي واخبرنيبقصص رائعة عنه، لكنه قال لي أيضا انه رجل لا يمكنهالايفاء بمعايير عالية وضعها هو للآخرين. كان جديمتحدثاً محبوباً وعاطفياً كان يمكنه أن يكون قائدا عظيما لو كان أكثر دبلوماسية ولم يكرس جهدهللتنافس مع أبناء العمومة وغيرهم الذين كانوا أفضل حالا. في المجتمع البشتوني من الصعب جدا أن تطيق ابن العم لكونه أكثر شعبيةأو ثراء، أو أكثر تأثيرا منك. أيضا كان لجدي ابن عم انضم إلى مدرسته كمدرس. عند ما تحصل على الوظيفة كتب في الوثائق أنعمرهأصغربكثير من عمر جدي. شعبنا لا يعرف التواريخ الدقيقة لميلادهم - والدتي، على سبيل المثال، لا تعرف متى ولدت. نميل إلى تذكر السنوات من خلال الأحداث، مثل الزلزال. لكن جدي كان يعرف أن ابن عمه في الواقع أكبر منه بكثير.

واشتدغضبه حتى أنـه قامبرحلـة تسـتغرق يومـا واحـدا بالحافلـة إلـى مينجورا لمقابلة وزير تعليم سوات. "ياصـاحب"، قـال لـه: "لـدي ابـن عميكبرنيبعشــر ســنوات وحــررت لــه شــهادة يصــغرني فيهابعشــر سنوات". فقال له الوزير "نعم مولانا، فماذا أكتب لك؟ تريد أن تكون قـد ولـدت فـي سـنة زلـزال كويتـا؟" وافـق جـدي، لـذا أصـبح تاريـخ ميلادهالجديد في عام 1935، مما جعله أصغر بكثير من ابن عمه.
هذا التنافس الأسري يعني أن والدي كـان يتعـرض لمضـايقات كـثيرة مـــن أبنـــاء عمـــومته. كـــانوا يعرفـــون أنـــه كـــان غيرمطمئنلمظهرهلأنـالمعلمين فـي المدرسـة دائمـا يفضـلون الأولاد الوسيمين خاصة ذوي البشرة الفاتحة. كان أبناء عمومته يوقفونه في طريقه إلى المنزل من المدرسة ويغيظونه عن كـونه قصيراًوصـاحب بشرة داكنة. في مجتمعنا يجب عليك الانتقام من مثل هذه الإهانـات، ولكن كان والدي أصغر بكثير من أبناء عمومته.
أيضا يشعربأنه لم يستطع أن يفعل ما فيه الكفاية لإرضاء جـدي. كـان جدي يكتببخط جميل،وكان والدي يمضي ساعات يرسم فيها الحروف بشق الأنفس ولكن جدي لم يثني عليه ولا مرةٍ واحدة أبداً.
حافظت جدتي على معنوياته عالية - كان ابنهـا المفضـل وهـي تعتقـد بأن هناك أشياء عظيمة تنتظره. كانت تحبه كثيرا بحيث انها تـدخر لـه لحماًإضافياً وقشدة الحليب بينما تأخذ هي الحليب بدون قشدة. ولكن لم تكن الدراسة بالشيء السهل، حيث لا توجد كهرباء في القرية في تلك الأيام. اعتاد أن يقرأ علـى ضـوء مصـباح الزيـت فـي "الحجـرة"، وفي ذات مساءعند ما ذهب لينوم وقـع مصـباح الزيـت علـى الارض. لحسن الحظ وجدته جدتيقبل أن تشتعل النار. إيمان جدتي بوالدي هو الذي أعطاه الشجاعة ليشق طريقـه بفخرويتمكـن مـن السـير عليـه. هذا هو الطريق الذي سوف يبينه لي لاحقا.
برغـم ذلـك، أيضـاً هـي غضـبت منـه يومـاً مـا. اعتـاد رجـال ديـن أن يسافروافي تلك الأيام من مكان روحي يسـمى "ديـراي سـيدان"الـى القرى لتسول الدقيق. فـي يـوم مـا بينمـا كـان والـداه بالخـارج، جـاء بعضـهم الـى المنـزل. كسـروالدي قفلالصندوقالخشـبي الـذي تخـزن فيهالذرة وملأ لهم مواعينهم. عندما جاء جدي وجدتيللمنزل غضبا منـه وضربوه.
البشتون مشهورين بالاقتصـاد (بـالرغم مـن سـخاءهم مـع الضـيوف)، وكان جديحريصاً خاصة على المال. إذا سـكب أي مـن أبنـائه بطريـق الخطـأ طعامهفـإنه يشـتاط عضـباً. كـان رجـل منضـبطاً للغايـة ولـم يستطيع أن يفهـم لمـاذا لـم يكـن أبنـائه مثلـه. بمـا أنـه مـدرس كـان يستحقالحصـول علـى خصـم علـى الرسـوم المدرسـية لأبنـائه فـي الرياضة والانضمام إلى الكشافة. هـذا الخصـم كـان بسـيطاً حـتى أن معظم المعلمين لا يهتمون به، لكنه أجبر والدي على طلـب الحصـول على الخصم. بالطبع كره والدي أن يفعل ذلك. بينما كان ينتظر خـارج مكتـب مـدير المدرسـة، بـدأ يتصـبب عرقـاً، ومـرة أخـرى دخـل فـي تأتأتهحيث كـانت أسـوأ مـن أي وقـت مضـى. "شـعرت كمـا لـو كـان

شرفي على المحك من أجل خمس روبيات"قال لي. كان جدي لا يشترى له كتبا جديدةأبدا، بدلا من ذلك كان يخبر أفضل طلابهبالاحتفاظبكتبهم القديمة لوالدي في نهاية العام،ثميرسله إلى منازلهملإحضارها. كان يشعر بالخجل ولكن لم يكنلديه خيار إذا كانلا يريد في نهاية المطاف أن يصبحأمياً. كل كتبه مكتوب عليها أسماء الأولاد الآخرين، وليس اسمه.

"إنتوريث الكتب ليست ممارسة سيئة"، يقول. "انافقط كنت أرغب في كتاب جديد، لا يحمل علامات مميزة من قبل طالب آخر،وأن يتم شراؤهبمال والدي ".

كراهيةوالدي لاقتصاد جدي جعلت منه رجلاً سخياًمادياً و روحياً. أصبح مصمما على انهاء التنافس التقليدي بينه وبين أبناء عمومته. عندما مرضت زوجة مدير المدرسة، تبرع والدي بالدم للمساعدة في انقاذ حياتها. دهش الرجل واعتذر له عن تعذيبه له. عندما يحكيلي والدي قصص طفولته، دائماً يقول أنه على الرغم من أن جدي كان رجلا صعبا إلا إنه أعطاه أهم هدية - هدية التعليم. بعث والدي للمدرسة الثانوية الحكومية لتعلم اللغة الإنجليزية والحصول على التعليم الحديث وليس إلى المدرسة الاسلامية، برغم أنهإمام، وانتقده الناس على ذلك. أيضاً قدم له جديالحب العميق للتعلم والمعرفة، فضلا عن الحرص على معرفة حقوق الناس، الذي أورثه لي والدي. فيخطب الجمعة التي يقدمها جدي كان يتحدث عن الفقراء و ملاك الأراضي وكيف أن الإسلام الحقيقي ضد الإقطاع. أيضاً كانيتحدث اللغة الفارسية والعربية ويهتمكثيراًبالكلمات. يقرأ لوالدي القصائد العظيمة للسعدي والعلامة إقبال وجلال الدين الرومي بتلك العاطفة والحماس كما لو كان يقرأللمسجد كله.

يتوق والدي إلي أن يكونبليغاًوله صوت داويمن غير أي تأتأة، وكان يعرف أن جديكان بحاجة ماسة له بأن يكون طبيبا، ولكن بالرغم من انه كان طالبا شديد الذكاءوشاعراً موهوباً، كان ضعيفاً في الرياضيات والعلوم وشعربأنه اصيببخيبة أمل،لذا قرر أنيجعل والده فخوراً به وذلك بدخولهلمنافسة الخطابة العامة السنوية للمنطقة. اعتقد الجميع بأنه مجنون. حاول أصدقاؤه ومعلميه اقناعه بالعدول عن ذلك وكان والده مترددا في كتابة خطاب له. في النهاية أعطاهجدي كلمة رائعة،اطلععليها والدي مرارا وتكرارا. حفظ كل كلمة في الذاكرة أثناءسيره في التلال، يقرأهاللسماء والطيور حيث لم تكن هناك أية خصوصية في منزلهم.

ليس هناك شيء كثير يقوم به الشخص في المنطقة التي كانوا يعيشون فيها،لذا عندما جاءاليوم كان هناك تجمعاً ضخماً. قدم الأولادكلماتهموبعضهم كانمعروفابإجادته للخطابة. أخيرا تم استدعاء والدي إلى الأمام. "وقفت خلفمنصة الخطابة"، قال لي "يداي ترتجفان وركبتايتصطدمان،وأنا قصير بالكاد استطيع أن أرى ما وراءسطح المنصةومن شدة الخوفأصبحتالوجوه غير واضحة لي. راحة يداي تتصببان عرقاًوكان فمي جافاً مثل الورقة."حاول يائسا أن

لا يفكر في الحروف الساكنة الخادعة الماثلة أمامه، وهي تنتظره فقط لتوقعه في خطأ وتلتصق في حنجرته، ولكن عندما تحدث، خرجت الكلمات بطلاقة مثل الفراشات الجميلة وهي تحلق. لم يكن صوته داوياً مثل صوت والده، ولكن عاطفته تألقت حتى النهايةوعند ما استمر اكتسب ثقة بنفسه.

في نهاية الخطاب دوى المكان بالتصفيق والهتاف،وأفضلمن كل ذلك، عند ما ذهب لاستلام كأس الجائزة الأولى، رأى والده يصفق ويستمتعبينما يربت الذين من حوله على ظهره. يقول، "كان ذلكأول عمل أقوم به يجعل والدي يبتسم".

بعد ذلك دخل والدي كل المنافسات في المنطقة. كان جدي يكتب له الخطب وكان دائما ما يحرز المركز الاول، والحصول على سمعة محليةبانه متحدث مثير للإعجاب. استطاع والدي أن يحولضعفه إلى قوة. لأول مرة يقوم جدي بالثناء عليه أمام الآخرين، ثمقال وهو يتباهى "ضياء الدين شاهين" –أي صقر - لأن هذا الطائريطير عاليا فوق الطيور الأخرى. قال له "أكتب اسمكضياء الدين شاهين". والدي فعل ذلك لفترة من الوقت ولكن توقف عندما أدرك أنه على الرغم من أن الصقر يحلق عاليا،فهو طائر وحشي،وبدلاًمن ذلك سمى نفسه ضياء الدين يوسفزايفقط،وهو اسم عشيرتنا.

3
النشأة في مدرسة

بدأت أمي الذهاب للمدرسة عندما كانت في السادسة وتوقفتفي نفس الفترة. كانت فتاة غير عادية في القرية حيث كان لها أب واخوانشجعوها على الذهاب إلى المدرسة. كانتالفتاة الوحيدة التي تجلس في صفالأولاد وهي تحملحقيبة الكتب بفخر في المدرسة وتدعي أنها كانت أكثر ذكاءً من الأولاد.لكنهاكل يوم كانت تترك وراءها بناتأعمامها يلعبنفي المنزل وحسدتهن على ذلك. يبدوأنه ليس هناك جدوى من الذهاب إلى المدرسة لمجرد أن ينتهي ذلك في ختام المطافبالطبخ والتنظيف وتربية الأطفال، لذلك قامت في أحد الأيامبيع كتبهابتسعة "آنات"، وأنفقت المال في شراء حلويات مغلية ولم ترجع للمدرسة مرةً أخرى. والدها لم يقل شيئا،وتقول انه لم يلاحظ حتى ذلك،حيث انه يخرج في وقت مبكر صباح كل يوم بعد تناوله وجبة الإفطار من خبز الذرة والقشدة، ومسدسه الألماني مربوط تحت ذراعه، ويقضي أيامه مشغولاًبالسياسة المحلية أو حل الخلافات. بالإضافة لذلك كان لديه سبعة أطفال آخرين للتفكير فيهم.
لم تشعر والدتي بالأسف الا حينما التقت بوالدي. هنا كان رجليقرأ الكثير من الكتب، ويكتب لها قصائد لا تستطيع أن تقرأها، ويطمح أن تكون له مدرسته الخاصة. بينما زوجتهكانت تريد ان تساعده في تحقيق ذلك. لطالما والدي كان يتذكر أن حلمه هو أن يفتح مدرسة، ولكن مع عدم وجود العلاقات العائلية أو المال كان من الصعب للغاية بالنسبة له تحقيق هذا الحلم. هويعتقد بانهليس هنالك شيء أكثر أهمية من المعرفة، حيث أنه يتذكر كيف كان مندهشاً من النهر في قريته، حيث كان يتساءل من أين جاء الماء وإلي أين ذهب، حتى تعلم عن دورة المياه من الأمطار إلى البحر.
مدرستهبالقرية كانت مجرد مبنى صغيرتقوم بتدريس العديد من الصفوف تحت شجرة على الأرض الجرداء. لا توجد فيها مراحيض ويذهب التلاميذ إلى الحقول لقضاء حاجتهم. لكنه يقول أنه كان محظوظا فعلا، شقيقاته - عماتي - لم يذهبن إلى المدرسة على الإطلاق، تماما مثل ملايين الفتيات في بلدي. كان التعليم هدية عظيمة بالنسبة له،ويعتقد أن عدم التعليم هوأساس كل المشاكل في باكستان. كان الجهل يسمح للسياسيينبخداع الشعب وإعادة انتخاب الإداريين السيئين. وهو يعتقدأن التعليميجب أن يكون متاحا للجميع، الأغنياء والفقراء، الفتيان والفتيات. المدرسة التي كان يحلم بها والدي يجب أن تكون بهاطاولات للطلاب ومكتبة وأجهزة كمبيوتر و ملصقات زاهية على الجدران، والأهم، دورات المياه.
كان لجدي حلم مختلف لابنه الأصغر - كان يتمنى له أن يكون طبيبا - وباعتبارهاحدولديه الأثنين، كان يتوقع منه أن يسهم في ميزانية الأسرة. شقيق والدي الأكبر سعيد رمضان عمل لسنوات مدرسا في مدرسة محلية. كان يعيش هو وأسرتهمع جدي، وكلما وفر ما يكفي من راتبه، قاموا ببناء حجرة صغيرة من الاسمنتعلى جانب البيت للضيوف. كان يأتيبكتل الاشجار من الجبال لحطب الحريق، وبعد التدريس كان يعمل في الحقول حيث كانت لعائلتنا عدد قليلمن

الجواميس. أيضا كـان يسـاعد جـدي فـي المهـام الصـعبة مثـل ازالـة الثلوج من على السقف.
عندما منحوالدي شاغرافي كلية "جيهانزيب" بنـاءً علـى المسـتوي (أ) الذي تحصل عليه، وهي أفضل مؤسسة تعليمعالي فـي وادي سـوات، رفض جدي دفع نفقات معيشته. كان تعليمه في دلهـي مجانـاً - حيـث عاش مثل الطلاب في المسـاجد، وكـان السـكان المحليين يقـدمون المواد الغذائية والملابس للطلاب. كان التعليم في "جيهانزيب"مجانـاً ولكـن والـدي كـان بحاجـة إلـى المـال للإعاشـة. لا تمنـح باكسـتان القروض الطلابية،كما ان قدماه لم تطأ أي بنك في يوم ما. كانتالكلية في "سيدو شريف"، المدينة التوأم لمدينة مينجـورا، وانـه ليـس لـديه عائلة هناك يمكنه أن يسكن معها. لم تكن هنـاك أي كليـة أخـرى فـي "شانجلا"، وإذا لم يذهب إلى الكلية، فانه لـن يسـتطيعمغادرة القريـة وتحقيق حلمه.
كان والدي في أسوأ حالاته وبكى بإحباط. ماتت أمه الحبيبة قبل تخرجه من المدرسة. كان يعرف لـو كـانت علـى قيـد الحيـاة، لكـانت بجانبه. توسل إلى والده لكن دون جدوى. كان أمله الوحيد صهره في كراتشـي. اقـترح جـدي انـه يمكنـه إسـكان والـدي حـتى يتمكـن مـن الذهاب الى الجامعـة هنـاك. سـيتم قريبـا وصـولالزوجين إلـى القريـة حيث انهما كاناقادمين لتقديم التعازي في وفاة جدتي.
دعـا أبـي ربـه أن يوافقـا علـى إسـكانه معهمـا؛ ولكـن جـدي طلـب منهماذلك بمجرد وصولهما، مرهقيـن بعـد رحلـة بالحافلـة لمـدة ثلاثـة أيـام، فرفـض زوج ابنتـه ذلـك رفضـاً مطلقـاً. غضـب جـدي غضـباً شديداًحتى انه لميتحدث إليهم طوال فترة إقامتهم. شـعر والـدي انـه قد فقد فرصته وسيمارس في نهاية المطاف التـدريس مثـل شـقيقه في مدرسة محلية. المدرسة التي كانيدرس فيها العـم خـان دادا فـي قرية "سيور"الجبلية، حوالي ساعة ونصف تسلق من منزلهم. لم يكن هنالك حـتى مبنـى خـاص بهـا. كـانوا يسـتخدموا القاعـة الكـبيرة فـي المسجد، حيث يدرس أكثر من مئة طفل تتراوح أعمارهم ما بين 5 و 15 سنة.
يتكون الناس في "سـيور" مـن "قـوجرس، كوهيسـتانس وميـانس" . ونحـــــن نعتـــــبر "ميـــــانس" نبلاء أو ملاك الاراضـــــي، ولكـــــن "قوجرسوكوهيستانس"هم مـا نسـميهم ناسـالجبال والفلاحيـن الـذين يرعـون الجـواميس. اطفـالهم عادةًقـذرينو البشـتون ينظـرون إليهـم بـازدراء، حـتى إذا كـانوا هـم أنفسـهم فقـراء. النـاس يقولـون "إنهـم قذرون، سود البشرة وأغبياء، دعوهم يكونواأميين". وغالبا ما يقال أن المعلمين لا يحبون أن يعملوافي مثل هـذه المـدارس النائيـة، عمومـا يبرمون صفقة مع زملاءهم حيث يذهب واحد فقط منهـم الـى العمـل كل يوم. إذا كانبالمدرسة اثنين من المعلمين، يذهب كـل واحـد منهـم ثلاثة أيام ويوقع حضور للآخـر. إذا كـان بالمدرسـة ثلاثـة منـالمعلمين، يذهب كل واحد منهم يومين فقط. عند وصولهم هناك، كل ما يفعلونه

هو الحفاظ على هدوء الأطفال بعصا طويلة حيث أنهم لايتصورون أن التعليم سيكون مفيدا لهم بأي حال من الاحوال.

كان عمي أكثر شعوراً بالواجب. كان يحب ناس الجبال ويحترم حياتهم الصعبة. ظل يذهبللمدرسة معظم الايام وحاول فعلا تعليم الأطفال. بعدأن تخرج والدي من المدرسة لم يكن لديه أي شيء يفعله،لذا تطوع لمساعدة أخيه. هناك تغير حظه حيثتزوجت واحدة من عماتي رجلا في تلك القرية وكان في زيارتهم قريباً لهم يسمى"ناصر باشا"، والذي رأى والدي في العمل. كان "ناصر باشا" قد قضى سنوات في المملكة العربية السعودية يعمل في البناء، يجمع المال لإرساله إلى أسرته. قال له والدي انه انتهى لتوه من المدرسة وكان قد فاز بشاغر في كلية"جيهانزيب" ولم يذكر له أنه لا يستطيع أن يذهبلأنه لا يريد أن يحرج والده.

"لماذا لا تأتي وتعيش معنا"سأل ناصر باشا؟

"أووف، أنا سعيد جدا، والله"، يقول والدي. أصبح "باشا" وزوجته "جاجاي"أسرته الثانية. كان منزلهم في "سبال باندي"، وهي قرية جبلية جميلة في الطريق إلى القصر الأبيض، يصفهاوالدي بأنها مكان رومانسي وملهم. ذهب إلى هناك بالحافلة، وبدت كبيرة جدا بالنسبة له مقارنة بقريته،حتى انه كان يعتقد بأنه قد وصل الى المدينة. كضيف، كان يعامل جيدا بشكل استثنائي. حلت "جاجاي"مكان أمه الراحلة كأهم امرأة في حياة والدي. عندما اشتكى لها أحد سكان القرية أنه كان يمازح فتاة تعيش على الجانب الآخر من الطريق، دافعت عنه. "ضياء الدين نظيف مثل البيضة من غير أي شعر"، قالت. " بدلا من ذلك راقبوا بنتكم".

في "سبال باندي"رأى والدي نساء لديهن حرية مطلقةولا يتوارين بعيداً كما هو الحال في قريته. كان لنساء"سبال باندي"مكان جميل على رأس الجبل حيث يمكنهنالاجتماعوالدردشة عن حياتهن اليومية. ليس من المعتاد أن يكون للنساء مكانا خاصا يجتمعن فيه خارج المنزل. هناك أيضا التقى والدي بمعلمه "أكبر خان"، الذي على الرغم من انه لم يذهب الى الكلية، قدم قرضاً مالياً لوالدي حتى يتمكن من الدخول للكلية. "أكبر خان"هذا مثل أمي قد لا يكون قد نال الكثير من التعليم الرسمي، لكنه كان يتصفبنوع آخر من الحكمة. كان والدي يتحدث كثيراً عن عطف "أكبر خان"و"ناصر باشا" ليضرب مثلاً، أنه إذا قدمت مساعدة إلى شخص محتاج قد تتلقى أيضا مساعدات غير متوقعة.

التحق والدي بالكلية في وقتمهممن تاريخ باكستان. في ذلك الصيف، بينما كان يتمشى في الجبال، قتل ديكتاتورنا الجنرال ضياء الحق في حادث تحطم طائرة غامض، والذي قال الكثير من الناس أن سببه كان قنبلة مخبأة في قفص بهمانجو. خلال الفصلالأول لوالدي في الكلية أجريت الانتخابات القومية، والتي فازت فيها بنازير بوتو، ابنة رئيس الوزراء الذي أعدم عندما كان والدي صبياً. كانت بنازير أول امرأة تشغل منصب رئيس الوزراء في باكستانوالأولى في العالم

الإسلامي. على نحو مفاجئ كان هناك الكثير من التفاؤل بشأن المستقبل.

أصبحت المنظمات الطلابية التي كانت محظورة في عهد ضياء الحق نشطة جدا. شارك والدي بسرعة في العملية السياسية الطلابية وأصبح معروفاًكمتحدث ومفكر موهوب. تم تعيينه أميناً عاماً لاتحاد الطلاب البشتون،الذي يطالببالحقوق المتساوية للبشتون. معظمالوظائف الهامة في الجيش والدوائر الرسمية والحكومية أخذت كلها من قبل البنجاب لأنهم جاءوا من المحافظة الأكبر والأكثر قوة.

وكانت المنظمة الطلابية الرئيسة الأخرى هي جماعة الطلاب الإسلامية، الجناح الطلابي للحزب الديني "الجماعة الاسلامية" الذي كان قويا في العديد من الجامعات الباكستانية. كان يوفر الكتب الدراسية والمنح للطلاب مجانا إلا إنهيحتفظ بوجهات نظر متعصبة للغاية، وكانت هوايتهالمفضلة هي المرور علىالجامعات وتخريب الحفلات الموسيقية. لقد كان الحزب قريباً من الجنرال ضياء الحق وكان أداؤه سيئا في الانتخابات. كان رئيس مجموعة الطلاب في كلية "جيهانزيب" "إحسان الحق حقاني". لذا كان هووالدي متنافسينبارزين، وكل منهما معجب بالآخر وأصبحا في وقت لاحق أصدقاء. يقول حقاني انه متأكد أن والدي كانأميناً عاماً لاتحاد الطلاب وقد يصبح سياسياً لو كان من عائلة خان الغنية. كانت السياسة الطلابية كلها عن النقاش و الكاريزما، ولكن السياسةالحزبية تتطلب المال.

احدىالمناظرات الأكثر سخونة في تلك السنة الأول كانت حول رواية. كان اسمالكتاب آيات شيطانية لسلمان رشدي، وكان عبارة عن قصة ساخرة لحياة النبي (صلي الله عليه وسلم)كتبت في بومباي. يعتبرهاالمسلمون على نطاق واسع أنه كفر،وقد أثار ذلك غضباً عارماًحتىبدا الناس وكأنه ليس لهم حديث الا عن هذا الموضوع. والشيء الغريب أنه لم يكن أحد قد رأى الكتاب منشوراً ليبدأبالاطلاع عليه - أنه لم يكن في الواقع معروضاً للبيع في باكستان - ولكن بعد ذلك ظهرت سلسلة من المقالات في الصحف الصادرة باللغة الأردية بواسطةرجل دين (ملا) قريب من جهاز مخابراتنا، يوجه فيها اللوم بشدةللكتاب الذي يسيءللنبي (صلى الله عليه وسلم)، قائلا انه من واجب المسلمين حقاًالاحتجاج. شجب رجال الدين(الملات)في جميع أنحاء باكستان في وقت لاحق الكتاب، منادين بحظره، وخرجتالمظاهرات الغاضبة. الأكثر عنفاً كانت في إسلام أباد في 12 فبراير عام 1989، عندما اشعلت النيران في الأعلام الأمريكية أمام المركز الأمريكي - بالرغم من أن رشدي والناشرين كانوابريطانيين. أطلقت الشرطة النار على الحشدوقتلخمسة أشخاص. لم يكن الغضب فقط في باكستان. بعد يومين أصدر آية الله خميني، المرشد الأعلى لإيران، فتوى أهدر فيها دم سلمان رشدي.

عقدت الكلية التي يدرس فيها والديحلقة نقاشساخنفي قاعة مكتظة بالطلاب. ناقش العديد من الطلاب أن الكتاب يجب أن يحظر ويحرق،وأيدوا الفتوى. أيضا رأى والدي أن الكتاب يسيء إلى الإسلام لكنه اقترح: "أولا، دعونا نقرأ الكتاب، ثم لماذا لا يستجيب لكتابنا". انهى حديثه بسؤال بصوت داويكان جدي يفخر به، "هل الإسلام دين بمثل هذاالضعف حتى أنه لا يمكنه أن يحتمل كتاب كتب ضده؟ هذا ليسالإسلام الذي أعرفه".

على مدى السنوات القليلة الأولى بعد تخرجه من "جيهانزيب" عمل والدي مدرسا للغة الانجليزية في كلية خاصة معروفة. لكن الراتب كان ضعيفاً، فقط 1600 روبية شهريا (حوالي 12جنيه استرليني)، واشتكى جدي من ان والديلا يساهم في ميزانية الاسرة. وكان أيضا لا يكفيهللتوفير لحفل الزفاف الذي يأمل من حبيبته "توربكاي".

كان "محمد نعيم خان"زميل والدي في المدرسة وصديقه، ودرساللبكالوريوس والماجستير في اللغة الإنجليزية معا وكانا متحمسينللتعليم. أيضا كلاهما كانمحبطاًحيث كانت المدرسة صارمة جدا ومضجرةويفترض أن لا يكون لأي من الطلاب أو المعلمين آراءهمالخاصة، وكانت سيطرة أصحاب المدرسة محكمة للغاية حتى أنالصداقة بين المعلمين تثير امتعاضهم. كان والدي يتوق للحرية التي من شأنها أن تأتي بفتح مدرسته الخاصة. كان يريد تشجيع التفكير المستقل،وكرهالطريقة التي كانت تكافئ بها المدرسة الطاعة، حيث كانت تكافأبتقدير أعلى من الانفتاح الذهني والإبداع. عندما خسر نعيم وظيفته بعد خلاف مع ادارة الكلية، قررا بدء مدرستهما الخاصة.

كانت خطتهما الأصلية هي فتح مدرسة في قرية والدي "شاهبور"، حيث كانت هناك حاجة ماسة، قال: "مثل بقالة في مجتمع لا يوجد فيهسوق". ولكن عندما ذهبا هناك للبحث عن المبنى، كانت هناك لافتات في كل مكان تعلن عن افتتاح مدرسة - شخص ما هزمهما في هذا الجانب. لذلك قررا انشاء المدرسة باللغة الإنجليزية في مينغورا، معتقدين أنه طالما كان وادي سوات وجهة سياحية سيكون هناك طلب على التعلم باللغة الإنجليزية.

بينما كان والدي لايزال يقومبالتدريس، كان نعيم يتجول في الشوارع بحثا عن مكان مايؤجره. فييوم ما دعا والدي بحماس ليقول لهأنه قد وجد المكان المثالي. كان في الطابق الأرضي لمبنى من طابقين في منطقة واسعةتسمى"لانديكس" مع فناء مسور حيث يمكن الطلاب منالتجمع. المستأجرين السابقين أيضا كانوا يستخدمونهكمدرسة - مدرسة "رامادا". سماها المالك بهذا الاسم لأنه يوما ما زار تركياوشاهد فندق رامادا! لكن تعرضت المدرسة للإفلاس، الأمر الذي ربما جعلهما يفكران مرتين. أيضا كان المبنى على ضفاف النهر حيث يلقى الناس القمامة وتفوح منهاروائح كريهةفي الطقس الحار.

ذهب والدي لرؤية المبنى بعد ساعات العمل. كانت ليلة مثالية تتلألأفيها النجوم والقمر بدراًساطعاً يطل منفوق الأشجار مباشرةً،

واعتبر ذلك علامة سعد لـه. "شـعرت بسـعادة غـامرة"، كـان يتـذكر. "حلمي قد أصبح حقيقة".
اسـتثمر نعيموالـدي كـل مـدخراتهم والـتي تبلـغ 60,000 روبيـة. واقترضـا 30,000 روبيـة اضـافية لإعـادة طلاء المبنـى، اسـتأجرا كوخاًعلى الجانب الآخر من الطريق ليعيشا فيه وانطلقا من باب إلـى باب في محاولة للعثور على الطلاب. للأسف اتضـح أن الطلـب علـى دروس اللغة الانكليزية كان ضعيفاً، وكانت هناك مصاريف غير متوقعة على دخلهم. استمرت مشاركة والدي في المناقشات السياسـية بعـد التخرج من الجامعة. يأتي زملاؤه الناشطون إلـى الكـوخ أو المدرسـة كل يوم لتناول طعام الغداء. "لا نستطيع أننتحمـل كـل هـذا المتعـة!" كان نعيم يشتكي. أصبح من الواضح أيضا أنه فـي حيـن انهمـا أفضـل صديقين، وجدا صعوبة في العمل كشركاء في المجال التجاري.

علاوة على ذلك، كان الضيوف يتوافدون بكثرة من شانجلا، الآن خصص لهـم والـدي مكانـا يسـكنون فيـه. نحـن البشـتون لا يمكننـارد الأقارب أو الأصدقاء، بالرغم من أن ذلـك غيـر مريـح. نحـن لا نحـترم الخصوصية وليس هناك شيء مثـل تحديـد موعـد لرؤيـة شـخص مـا. يمكن للزوار أن يحضروامتى ما رغبوا، ويمكنهم أن يبقواإلى مـتى مـا يريدون. كان كابوسا بالنسبة لشخص يحاول أن يبدأ عملاً تجاريـاً،لقـد سبب ذلك ارتباكاً لنعيم. قال لوالدي مازحا إذا كان لأي منهمـا أقـارب يريدون البقاء، يجب على المضيفدفع غرامة. كان أبي دائماً ما يحاول إقناع أصدقاء وعائلة نعيمللبقاء لكي يتم تغريمه أيضا!

بعد ثلاثة أشهر كان لدى نعيم ما يكفيه."من المفترض أن نعمل حالياًعلى جمع مال رسوم الالتحاق. بدلا من ذلك يطرق أبوابنـا فقـط المتسولة!"ثم قال،"هذه مهمة شاقة، لا أستطيع أن أشارك أكثر مـن ذلك!"

وبحلول ذلك الوقت كان الصديقانالسابقان بالكاد يتحدثان مـع بعضها البعض، وكان يجب دعوة شيوخ محليين للتوسـط بينهمـا. كـان والدي متمسكاًبعدم التخلي عن المدرسة، لذاوافق علـى ارجـاعلنعيم نصيبه في الاستثمار. لم تكن لديه فكرة عـن كيفيـة تنفيـذ ذلـك. مـن حسن الحظ تدخل صديق آخـر قـديم مـن الكلية يسـمى هدايـة اللـه ووافق على دفع المال واخذ مكان نعيـم. انطلقالشـركاء الجـدد مـرة أخرى للذهاب من باب الى باب، يخبرونالناس انهم بدأوا نوعـا جديـدا من المدارس. كان لوالدي جاذبية وقدره حيث يقول هداية الله انهمن الناس الذين إذا دعوتهم إلى منزلك، سيخلق صداقات مـع أصـدقائك. ولكن بينما كان الناس سعداء للتحـدث معـه، كانوا يفضـلون إرسـال أولادهم إلى مدارس مؤسسة وليست جديدة.

أطلقوا عليها اسم "مدرسة خوشال"تيمناًبأحـد أبطـال والـدي العظماء، "خوشال خان خطاك"، الشاعر المحارب مـن "أكـورا" الـى الجنوب مباشرة مـن وادي سـوات، الـذي حـاول توحيـد جميـع قبائـل البشتون ضد المغول في القرن السابع عشـر. بـالقرب مـن المـدخل كتب شعار: (**نحن ملتزمون بأن نبني لكم نداء العهد الجديد**).

صمم والدي أيضا درع مع اقتباس شهير مـن "خطـاك"بلغـة الباشـتو: (لقد حزمت سيفي باسمالشرف الأفغاني). أبي يريد منـا أن تسـتلهم ببطلنـا العظيـم، ولكـن بطريقـة تناسـب عصـرنا - بـالأقلام، وليـس السـيوف. تمامـا مثلمـا اراد"خطـاك"للبشـتون أن يتوحـدوا ضـد عـدو خارجي، لذلك نحن بحاجة للتوحد ضد الجهل.
للأسف لم يقتنع الكثير من الناس. عندما فتحت المدرسة كان لـديهم ثلاثة طلاب فقط. ورغم ذلك أكد والـدي علـى بـدء اليـوم علـى نمـط رسميوذلك من خلالترديد النشيد الوطني. ابن أخيه "عزيـز"، الـذيجاء للمساعدة، قام برفع علم الباكستان.
نسبة لقلة عدد الطلاب، كان لديهم القليل من المال لتجهيز المدرسة ونفد هـذا المـال فـي وقـت وجيـز. لـم يسـتطيع أي مـن الرجليـن أن يتحصـل علـى أي أمـوال مـن أسـرته، وكـان هدايـة اللـه غيـر راضٍ ليكتشف أن والدي لا يزال مديوناً لكثير من النـاس منـذ أن كـان فـيً الكلية، لذلك كانوا دائما يتلقون رسائل تطالب بتسديدالديون.
ما تخفيه الايام كان هو الاسـواء،وذلـك عنـدما ذهـب والـدي لتسـجيل المدرسة،حيـث تركـوه ينتظرلسـاعات، تـم إرشـاده فـي النهايـة إلـى مكتـب مفتـش المـدارس، الـذي كـان يجلـس وراء أكـوام عاليـةمن الملفات يحيط بهبعض العاطلين الذين لا عمل لهم وهم يكـثرون مـن شـرب الشـاي. وتسـاءل المسـؤول "مـا هـو نـوع هـذه المدرسـة؟"، ضاحكاً على طلبه. "كم عدد المعلمين لـديك؟ ثلاثـة! لـم يتـم تـدريب معلميك. كل واحد يعتقد أنه يمكن أنيفتح مدرسة بهذه الطريقة! "
ضــحك الاشــخاص الموجودينبــالمكتب طــويلاًوهم يســخرون منــه ممـاأغضب والدي. كان واضـحاًأن المشـرف يريـد المـال. البشـتون لا يمكنهمتحمل أي شخص يقلل من قـدرهم، ولـم يكـن علـى وشـك أن يدفع رشوة على شيء يستحقه. كان هو وهداية اللـه بالكـاد يملكـون المــال لشــراء الطعــام، دعــك عــن الرشــاوى. كانتالتكلفــة المعروفةللتسجيل حوالي 13,000 روبية، وأكثر من ذلك إذا اعتقـدوا أنك غنياً. كان يتوقع من المدارس أن تقوم بتكريم المسؤولين بصـفة منتظمة، وذلكبغداء جيد من الدجاج أو سمك السـلمون المرقـط مـن النهر. قد يتصلمسؤولي التعليم لترتيب عملية تفتيش ثم إعطاء طلب مفصلبوجبة الغداء التي يرغبـون. كـان والـدي يتـذمر، "نحـن مدرسـة وليست مزرعة دواجن".

لذلك عندما رمي المسؤول صنارتهللرشوة، تحول والدي عليه بكل قوة سنواته التي قضاها في المناقشـة. "لمـاذا تسـأل كـل هـذه الأسـئلة؟ سـأل. "هـل أنـا فـي مكتـب أم أنـا فـي مركـز الشـرطة أو المحكمة؟ هل أنا مجرم؟" وقرر أن يتحدى المسؤولين لحمايـة بعـض أصحاب المدارس من هـذه البلطجـة والفسـاد. كـان يعلـم أن القيـام بذلك يحتاج منـه الـى شـيء منـالقوة، لـذلك التحـق بمنظمـة رابطـة سوات للمدارس الخاصة، كانت رابطة صغيرة في تلـك الأيـام، فقـط خمسة عشر عضواً، سرعان ما أصبحوالدي نائباً للرئيس.

ظل مدراءالمدارسالآخرين يدفعونالرشاوى كأمر مفـروغ منـه، ولكـن والدي تحدث وقال إذا تضـامنت كـل المـدارس مـع بعضـها يمكـن أن تقاوم. "ادارة مدرسة ليست جريمة،" قال لهم. "لمـاذا يجـب عليكـم دفـع رشـاوى؟ انتـم لا تـديرون بيـوت دعـارة بـل تعلمـون الأطفـال! المسؤولون الحكوميون ليسوا رؤساؤكم في العمـل"،وذكرهـم. "هـم خـدمكم، انهـم يأخـذون رواتـب ويجـب عليهـم خـدمتكم. انتـم الـذين تعلمون أبنائهم".

سـرعان مـا أصـبح رئيسـاً للمنظمـة وتوسـعتحتي شـملت 400 مـدير مدرسـة. فجـأة اصـبح أصـحاب المـدارس فـي موقـع السـلطة. لكـن والدي كان دائما رومانسياً بدلا عن رجـل أعمـال. وفـي غضـون ذلـك كان هو وهداية الله في مثل ذلك الوضع الحرجالذي تخطيـافيه رصـيد التسليف المقرر مع صاحب متجر محلي، ولـم يسـتطيعا حـتى شـراء الشاي أو السكر. في محاولـة لزيـادة دخلهمـا قامـا بـإدارةبوفيه فـي المدرسة، يخرجا في الصباح ويشتريا وجبات خفيفـة لبيعهـا للأطفـال. كان والدي يشتري الذرة ويبقى حـتى وقـت متـأخر مـن الليـل يصـنع الفشار ويعبئه.

" قد أصبح مكتئباً جدا وأحيانا انهار عند ما ارى المشاكل في كل مكان حولنا"، قال هداية الله، "ولكـن عنـدما يكـون ضـياء الـدين فـي أزمة يصبح قوياً ومعنوياته مرتفعة".

أكد والدي أنهما بحاجة إلى التفكير بتروي. في احد الايام رجـع هدايـة الله من محاولة لتسـجيل التلاميـذ للمدرسـةليجد والـدي جالسـاً فـي المكتب يتحدث عن الإعلانات مع الرئيس المحلي لتلفزيون باكسـتان. عند ماخرج الرجل، انفجر هداية اللـه ضـاحكاً. "ضـياء الـدين، نحـن لا نملـك تلفزيـون حـتى"، لافتـاً انتبـاه والـدي. "إذا قمنـا بـالإعلان فـي التلفزيون فأننـا لـن نسـتطيع مشـاهدته". لكـن والـدي رجـل متفائـل ولنتقف الاجرائيات أبداً في طريقه.

في يوم ماأخبر والدي صديقه هداية الله بأنه سوف يعـود إلـى قريتـه لبضعة أيـام. كـان فـي الواقـع ذاهبـا ليـتزوج، لكنـه لـم يخـبر أي مـن أصدقائه في مينجورا حيث انه لا يستطيعاستضـافتهم. تسـتمر حفلات الزفاف عندنا لعدة أيام وتقدم فيهـا الـولائم. فـي الواقـع، كمـا كـانت والدتي كثيرا ما تذكر والدي، انه لـم يحضـر المراسـم الفعليـة. حضـر فقط اليوم الأخير، عندما وضع أفراد العائلة كتاب القرآن في أيـديهما وألبسوهماشالات فوق رأسيهماووضـعوا مـرآة أمامهمـا لينظـرا فيهـا. بالنسبة للكثير من الأزواج في الزيجات المرتب لها،قد تكون هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها بعضهماوجه الآخر. تم احضـار ولـد صـغير واجلسوهفي حجريهماكفألبولادة الولد.

من تقاليدنا أن يهدى للعروس أثاث أو ربما ثلاجة مـن عائلتهـا وبعض الذهب من أسرة العريس. لم يكن باستطاعة جـدي أنيشـتري ما يكفي من الذهب،لذا كان على والدي اقـتراض المزيـد مـن المـال لشراء أساور. بعد حفـل الزفـاف انتقلـت والـدتي للسـكن مـع جـدي وعمي،وكان والدي يعود إلى القرية مرة واحدة كل أسبوعين أو ثلاثـة

أسابيع لرؤيتها. كانت الخطة هيالمحافظة على استمراريةالمدرسةوبمجرد نجاح الخطةيرسل لإحضار زوجته. ولكن،ظل جدييشكو من استنزاف دخله وجعل حياة أمي بائسة. كان لديها القليل من المال،استأجروا به سيارة وانتقلت إلى مينجورا. لم تكن لديهم أي فكرة عن الكيفية التي بموجبها سيديرون شؤونهم. " الآن فقط عرفنا أن والدي كانلا يريدنا هناك"، قال والدي. "في ذلك الوقت كنت غير سعيد مع عائلتي، ولكن في وقت لاحق صرت ممتناً لهم لأنهم جعلوني أكثر استقلالية".

لم يهتم والدي بإخطار شريكه. ذهلهداية الله عندما عاد والدي لمينجورا مع زوجته،قال لوالدي "نحن لسنا في وضع يمكننا من إعالة أسرة. أين ستسكن؟ "

"لا بأس"، أجاب والدي. "سوف تطهي لنا الطعام وتغسل ملابسنا".

كانت أمي متحمسةأن تعيش في مينجورا. كانت بالنسبة لها مدينة حديثة. عندما كانت تناقش هي وصديقاتها أحلامهنكفتيات على جانب النهر، معظمهنقلنأنهن يرغبن فقط في الزواج وانجابالأطفال والطهى لأزواجهن. عندما جاء دور والدتي قالت: "أريد أن أعيش في المدينة واستطيعأن أرسل في طلب الكباب والنان بدلا من إعدادهبنفسي". ومع ذلك، لم تكن الحياة تماما كما كانت تتوقع. كان الكوخ يتكون من غرفتين، واحدة ينوم فيها هداية الله ووالدي والثانية كانت مكتب صغير. لا يوجد مطبخ، وليس هناك أنابيب مياه. عندما وصلت والدتي، كان على هداية اللهالانتقال إلى المكتب والنوم على كرسي خشبي صلب.

كان والدي يستشير والدتي في كل شيء. كان يقول لها، "بكاي، ساعدينيفي حل الارتباك الذي حدث ليفي هذا". حتى أنها ساعدت فيطلاء جدران المدرسة، رافعة الفوانيس حتى يتمكنوا من الاستمرار في الطلاء عندما خيم الظلام بعد انقطاع التيار الكهربائي.

"كان ضياء الدين رجل أسرة وكاناقريبين من بعضهما بشكل غير عادي"، قال هداية الله. "في حين أن معظمنا لا يمكنهمالعيش مع زوجاتهم، الا هو لا يمكن أن يكون بدونها".

في غضون بضعة أشهر كانت والدتي تتوقع مولوداً. طفلهما الأول،ولد عام 1995، كانت فتاة وولدت ميتةً. "أعتقد أنه كانت هناك بعض مشاكل النظافة في ذلك المكان الموحل"، يقول والدي. "أعتقد أن المرأة يمكنها أن تلد من غير أنتذهب الى المستشفى، مثلما فعلت أمي وأخواتي في القرية. ولدت والدتي عشرة أطفال بهذه الطريقة".

استمرت المدرسة في إضاعةالمال. تمر شهور وهم لا يستطيعون دفع رواتب المعلمين أو إيجار المدرسة. ظل الصائغ يأتيويطالب بمالالأساور التي تم شراؤها لزفاف أمي. كان والدي يعمل له شاي جيد ويقدم له البسكويت آملاً في ابقائه راضٍ. ضحك

هداية الله وهو يقول لوالدي، "هلتعتقد انـه سـيكون سـعيدا بالشـاي؟ هو يريد ماله".
صار الوضع مزريـاً حـتى أن والـدي اضـطر لـبيع أسـاور الـذهب. فـي ثقافتنا تعتبر مجوهرات الزفاف هيالرابط بين الزوجيـن. النسـاء غالبـا ما يبعن مجوهراتهنلمساعدةأزواجهن في إنشـاء الأعمـال التجاريـة أو لدفع ثمن تذاكرالسفر إلى الخارج. منحت والدتي أسـاورها مـن قبـل لأبن شقيق والدي من أجل سدادتكاليفالذهاب الى الكلية ، التي كـان والدي قد وعد بتهور تمويلها - لحسن الحظ، عـادت بنـت عـم والـدي "جيهان شير خان" - وانها لم تكن تعـرف أنالأسـاور قـد تـم دفعفقـط جزء مـن سـعرها. ثـم اصـبحت غاضـبة عنـدما علمـت أن والـدي لـم يتحصل علىسعر جيد مقابل ذلك.
فقط عندما بدأتالاحوال أنها لا يمكن أن تزداد إلا سوءاً، تعرضت المنطقة إلى سيول مفاجئة. لم تتوقف الامطار ليوم كامل وفي وقت متأخر من الظهر كان هناك تحذيرا من الفيضانات. كان علـى الجميـع إخلاء المنطقة. كانت والدتي خارج المنزل وهداية الله بحاجة لوالـدي لمساعدته فيرفعجميع الاشياءإلى الطـابق الأول، للحفـاظ عليهـا مـن سرعة ارتفاع منسوب المياه، لكنه لم يستطع العثور على والدي فـي أي مكان.ذهبللخـارج، وهـو ينـادي بـأعلى صـوته"ضـياء الـدين، ضـياء الدين!" كاد البحث عن والديأن يكلف هداية الله حياته. غمرت الميـاه الشارع الضيق امـام المدرسـة تمامـا،وفـي فـترة وجيـزة غطسـحتى عنقه في الماء. كانت هناك كابلات كهربائية معلقـةوهي غيـر محكمـة الربط وتتمايل مع الرياح. كان يشـاهد وهـو مشـلولمن الخـوف حيـث أنهاكـادت أنتلامـس المـاء. لـو أنهـا فعلـت لكـان قـد قتـل بالصـدمة الكهربائية.
أخيرا وعندما وجد والدي، علم أنه قـد سـمع امـرأة تبكـي لأن زوجهـا كان محاصراً في منزلهـم وانـدفع داخـل المنزللإنقـاذه. ثـم سـاعدهم على إنقاذثلاجتهم. كان هداية الله غاضـباً وقـال لـه "لقـد أنقـذت زوج هذه المرأة ولكن لم تنقـذ منزلـك!". "هـل كـان ذلـك بسـبب صـرخة امرأة؟ "
عندما انحسرت المياه، وجدوا أن منزلهم ومدرستهم قد تدمرت: الأثاث والسجاد و الكتب والملابس ونظام الصـوت غارقـة تمامـا فـي طبقة سميكة من الطين الكريه الرائحة. لم يكن لديهم مكان ينـامون فيه ولا ملابس نظيفة يرتدونها. لحسـن الحـظ، دعـاهم أحـد الجيـران يسـمى"أمـان الـدين"للمـبيت عنـده فـي تلـك الليلـة. إزالـة الحطـام استغرق أسـبوعاً. كلاهمـا كـان بعيـدا عندماحـدث فيضـان ثـاني، بعـد عشرة أيام، وامتلأ المبنى مرة أخرى بالطين. بعد ذلـك بـوقت قصـير زارهم مسؤول منشركة المياه والكهرباء، الـذي ادعـى أن العـداد قـد تـم التلاعـب فيـه وطـالب برشـوة. عنـدما رفـض والـدي، وصـلت الفاتورةوبهـا غرامـة كـبيرة. لـم تكـن هنـاك أي طريقـة لـدفع هـذه الفاتورة،لذا سأل والدي أحد أصدقائه السياسيينبأن يستخدم نفوذه.

بدأ يشعر كما لو أن المدرسة لم يكن من المفترض أن تكـون، ولكـن والدي لا يتخلى عن حلمه بهذه السهولة. الى جانب ذلك، كـانت لـديه اسرة يجب عليه اعالتها. لقـد ولـدت فـي 12 يوليـو 1997. سـاعدت والــدتي أحــد الجاراتاللاتيــأنجبن أطفــال مــن قبــل. كــان والــدي ينتظربالمدرسـة وعنـدما سـمع النبـأ جاءجارياً. كانتوالـدتي قلقـةمن اخطاره بأنه رزقبنتاً وليس ولداً، لكنه يقول انه نظر في عينـي، وكـان في منتهى السعادة.

"كانت ملالا فتاة محظوظة"، يقول هداية الله. "لقد تغيرحظنـا عنـدما ولدت".

ولكن ليس على الفور. في الذكرى الخمسون لأعيادباكستان في 14 أغسطس عام 1997، كانت هناك مسيرات و احتفالات في جميع أنحاء البلاد. ومع ذلـك، قـال والـدي وأصـدقائه لـم يكـن هنـاك شـيء يحتفل بهحيث أن سوات صارت تعاني منذ أن اندمجت مـع باكسـتان. كـانوا يلبســون شــارات ســوداء للاحتجــاج، يقولــون ان الاحتفــالات كانتبدون شـيء يسـتحق أن يحتفـل بـه، وألقـي القبـض عليهـم. كـان عليهم دفع غرامة ليس في وسعهم تحملها.

بعد بضعة أشهر من ولادتيأصبحت الغـرف الثلاث أعلـى المدرسـة شاغرة وانتقلنا جميعا اليها. جدرانها كانتمن الاسمنتوهناك مياه جارية، وبالتالي كانهذا تحسنامنكوخنا الموحل، ولكـن كنـا لا نـزال فـي ضـيق شديدحيثكانيتقاسمها معنا هداية اللـه، وغالبـاً مـا يكـون معنـا ضـيوف بصفة دائمة. كانت هيالمدرسة ابتدائية الأولىالمختلطة وكـانت صغيرة جدا. في الوقت الـذي ولـدت فيـه كـان بهـا خمسـة أو سـتة معلميـن وحوالي مائـة تلميـذ يـدفعون مائـة روبيـة فـي الشـهر. عمـل والـدي معلماًومحاسباًومديراًللمدرسة. كـان أيضـا يمسـح الأرضـيات ويغسـل الجـدران وينظـف الحمامـات. كـان يتسـلق أعمـدة الكهربـاء لتعليـق لافتات الدعاية للمدرسة، على الرغـم مـن أنـه كـان يخـاف جـدا مـن المرتفعات،حتى وأنه عندما يصل إلى أعلى السلم كانت قدماه تهـتز. إذا تــوقفت مضــخة الميــاه عــن العمــل، ينــزل إلــى أســفل الــبئر ليصلحهابنفسه. عندما اراهيختفي للأسفل هناك، كنت أبكـي، اعتقـاداً منيبانه لن يعود. بعد دفع الإيجـار والرواتـب، يبقـى هنـاك القليـل مـن المال للطعام. كنا نشـرب الشـاي الأخضـر حيـث لـم يكـن بمقـدورنا شراء الحليب للشاي العادي. ولكن بعد حين بـدأت المدرسـة تتكسـر حتى بدأ والدي التخطيط لمدرسة ثانية، التي أراد أن يسميها أكاديمية ملالاللتعليم.

كانت مساحة فضاء المدرسة بالنسبة لي كملعب. والدي يقول لي حتى قبل أن أتمكـن مـن التحـدث كنـت امشـي بخطـى متعـثرة فـي صــفوف المدرســةواتحدث كمــا لــو كنــت مدرســة. كــانت بعــض الموظفات مثل الآنسة ألفت يأخذنيويضعني في حضنهن كما لو كنـت حيواناً أليفاً أو حتى يأخذني للمنزل معهن لفـترة مـن الـوقت. عنـدما كنتفي الثالثة أو الرابعة من العمروضعت في صـفوف مـع أطفـالأكبر

مني فيالعمر. كنت أجلس بأعجاب، والاستماع لكل ما يتمتدريسه. أحياناً كنتاحاكي المعلمين. يمكنك أن تقول إنني نشأت في المدرسة. وفقاًلما توصل اليه والدي ونعيم، فإنه ليس من السهل خلط الأعمال والصداقة. في نهاية المطاف ترك هداية الله المدرسة ليبدأ مدرسته الخاصة وقسموا الطلاب، كل منهما أخذ اثنين من السنوات الأربعة. لم يخبرا تلاميذهماحيثكان هدفهما من ذلك أن يعتقد الناس أن المدرسة قد توسعت، ولها مبنيين. على الرغم من أن هداية الله ووالدي كانا لا يتحدثان مع بعضهما البعض في ذلك الوقت، الا أن هداية الله كان يشتاق لي كثيراًواعتاد أن يزورني.

بينما كان هداية الله في زيارتنا بعد الظهر في سبتمبر 2001،كانت هناك ضجة كبيرة وبدأ ناس آخرون يتوافدون،وقالوا كان هناك هجوم كبير على مبنى في نيويورك. حلقت طائرتانحوه واخترقتاه. كنت في الرابعة من عمري، وصغيرةً جدا على فهم ذلك. حتى البالغين كان من الصعب أن يتخيلوا ذلك - أكبر المباني في وادي سوات هي المستشفى والفندق، وهما من طابقين أو ثلاثة طوابق. وبدا ذلك بعيداً جداً. لم يكن لدي أي فكرة عن ما همانيويورك وأمريكا. كانت المدرسةهي عالميوعالمي هو المدرسة. لم نكن ندرك في ذلك الوقت أن 9/11 سيغير عالمنا أيضا، وسوف يجلب الحرب إلى وادينا.

4
القرية

من تقاليدنا أننحتفل في اليوم السابع من عمر الطفل بما يسمى"ووما" (التي تعنيالسابع) حيث تجتمع الأسرة والأصدقاء والجيران لمدح وتمجيد المولود. لم يحتفل بي والدايّ لأنهما لا يستطيعان تحمل تكاليفالشاة والأرز اللازم لإطعام الضيوف، وجدي لا يساعدهما في ذلك لأنني لم أكن صبياً. عندما جاء الدور على إخواني واراد جدي أن يدفع، رفض والدي ذلك لأنه لم يفعل ذلك لي. ولكن جدي هذا هو الجد الوحيدحيث توفي والد والدتي قبل أن أولد وأصبحنا قريبين منه. يقول والداي أني اتمتع بصفات أجداديالأثنين - فكهةوحكيمة مثل والد والدتي وصوتي مثل والدوالدي! نشأجديمعتدلاًو له لحية بيضاء عندما صار شيخاًوكنت أحب الذهاب لزيارته في القرية.

كلما رآنيكان يحينيبأغنية لأنه كان لا يزال يشعر بالقلق إزاء المعنى الحزين لإسمي وأراد أن يضفي عليه بعض البهجة: كان يغني"ملالاهي من مايواند وانها أسعد شخص في كل العالم ".

دائماً ما نذهب للقرية لقضاء عطلة العيد. كنا نلبس أرقى الملابس ونتكدس داخلالحافلة الطائرة، حافلة صغيرة بها لوحات رسمت

بألوان زاهية، وبها سلاسل لها صليل، وننـدفع شمالاً إلى "باركانا" قرية أهلنا في "شانجلا". يأتي العيد مرتين في السنة - عيد الفطر أو "العيد الصغير" إشارة إلى نهاية صوم شهر رمضان، وعيد الأضحى أو "العيد الكبير" إحياءً لذكرىإذعاالنبي إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل تقرباً إلى الله. يتم الإعلان عن مواعيد الأعياد من قبل لجنة خاصة من رجال الدين الذين يشاهدون ظهور الهلال. حالما نسمعإذاعة الخبرفيالمذياع، ننطلق نحو قريتنا.
بالكاد ننام في الليلة التي تسبق العيد "يوم الوقفة" لأننا نكونمتشوقين للغاية. عادة تستغرق الرحلة حوالي خمسة ساعات هذا إذا لم تكن الأمطارأو الانهيارات الأرضية قد جرفت الطريق،والحافلة الطائرةقد غادرت في الصباح الباكر. شقينا طريقنا بصعوبة إلى محطة حافلات "مينجورا"، حقائبنا محملة بالهدايا لعائلتنا - الشالات المطرزة وصناديق من حلويات الورد والفستق وكذلك الادوية التي لا يمكن الحصول عليها في القرية. يأخذ بعض الناس أكياس السكر والدقيق، ويتم ربط معظم الأمتعة أعلى الحافلة في كومعالي. ثم نتزاحم داخل الحافلةنتشاجر على المقاعد التي بالقرب منالنوافذبالرغم من أن زجاجها كان مغطىبالأوساخ مما يجعل الرؤية من خلالها صعباً. مرسوم على جانبي حافلات "سوات" مناظربالون الوردي الساطعوزهور صفراء ونمور بلون برتقالي فاقعوجبال ثلجية. إخواني أحبوا ذلك إذا كان على احدطائراتنا المقاتلة F-16 أو الصواريخ النووية، على الرغم من أن والدي قال إذا لم ينفق سياسيينا الكثير من المال على بناء قنبلة نووية ربما كان لدينا ما يكفي للمدارس.
انطلقت بنا الحافلة من السوق، مروراًبالفم الأحمر المبتسم،وهي لافتاتدعاية لأطباء الأسنان، وعربات مكدسة بها أقفاص خشبية مكتظة-بدجاجأبيض خرزي العينين قرمزي المناقير، ومحلات المجوهرات بنوافذمليئةبأساور الزفاف الذهبية. المحلات التجارية القليلة الأخيرة ونحن متجهين شمالا خارج "مينجورا"، كانت أكواخ خشبية يبدو أنها تتكئ على بعضها البعض، كانت أمامها أكوام منالإطارات التي تم ترميمها لتستخدم على الطرق الوعرة في الأمام. ثم سرنا على الطريق الرئيس الذي بناه الوالي السابق، والذي يتبع نهر "سوات"الواسعإلى اليسار ويعانق المنحدرات التيبها مناجم الزمرد إلى اليمين،وتطل على النهر مطاعم سياحية ذات نوافذ زجاجية كبيرة، لم ندخلها من قبل. في الطريق مررنا بأطفال وجوههم مغبرةمنحنيين للأماموحزم كبيرة من العشب على ظهورهم والرجال يوجهون قطعان الماعز الشعثاء التي كانتتتجول هنا وهناك.
بينما كانت الحافلة تمضي بنا، تغير المشهد إلى حقول من الأرز الخضراء عالية الخصوبةالتي فاحترائحتهاالمنعشة وبساتين من أشجار المشمش والتين. كنا نمر بين الفينة والأخربأعمال الرخام الصغيرة على الأنهارالتي تجري بلون أبيض حليبي من مخلفاتالمواد الكيميائية،مما جعل والدي يستهجن: "انظروا ماذا يفعل

هؤلاءالمجرمون لتلويث وادينا الجميل"، كان دائماً يقـول ذلـك. فـارق الطريق النهر وسار من خلال ممرات ضـيقة علـى مرتفعـات شـديدة الانحدار مكسوة بشجر التنوب، أعلـى ثـم أعلـى، حـتى بـرزت آذاننـا. كانت هناك أنقاض على رأس بعض القمم حيث كـانت تحلـق النسـور وبقايا الحصـون الـتي بناهـا الـوالي الأول. أنهكـت الحافلـة وأجهـدت، وكان السائق يوجه الشـتائمكلما تخطتنـا الشـاحنات علـى المنحنيـات الخطرةذاتالمنحدرات العميقة إلى الأسفل. أحب إخواني ذلك، وكـانوا يسخرون مني ومن والدتي مـن خلالإشـارتهم إلـى حطـام المركبـات على سفح الجبل.

أخيـرا اسـتطعنا الوصـولإلى "منعطـف السـماء"، بوابةقمـة "شانجلا"، وهو ممر جبلي يشعرك كمـا لـو أنهعلـى قمـة العـالم. فـي ذلك المكان المرتفع كنا أعلى من كـل القمـم الصـخرية الـتي حولنـا. علـى مسـافة بعيدةاسـتطعنا أن نـرى ثلـوج "مـالام جابـا"، المنتجـع الذينتزلج فيه. على جـانبي الطريـق كـانت هنالـك الينـابيع والشـلالات العذبة،وعندما نتوقف للاستراحة وشـرب بعـض الشـاي، يـأتي الهـواء نقيـاًومعطراً بعبــق الأرز والصــنوبر،حيــث نملأ منــه رئتينابشــراهة. "شانجلا" كلها جبال، جبال، جبال ومجرد سماء صـغيرة. بعـد ذلكيتجـه الطريق إلى أسفل لفترة من الوقت ثم يتبع نهر "جواربن" ثم يختفي عن الانظارداخل مسار صخري. الطريقة الوحيدة لعبور النهر هي عن طريــق جســور مــن الحبــال، أو علــى نظــام بكــرة يتأرجــح النــاس عليهـالعبور النهـر فـي صـندوق معـدني. الأجـانب يسـمونها الجسـور الانتحارية ولكننا نحبها.

اذا نظرت الى خريطة "سوات"سترى أنها وادي واحد طويل مع وديان صـغيرة نسـميها"ديـرة"تمتـد علىجـانبيه مثـل فـروع الشـجرة. قريتنا منتصف المسافة تقريبا تجاه الشرق. انها في "خان دارا"، التي تحيط بها حيطان منالجبالشديدة الانحدار وهي ضيقة جداً حتى وأنـه لا تتــوفر هنــاك مســاحة صغيرةتســع لميــدانالكريكت. تســمى قريتنــا "شاهبور"، ولكن في الحقيقة هناك سلسلةتتكون من ثلاث قرى على طول الجزء الأسفل منالوادي –"شاهبور"، هي الأكبر؛"بركانـا"، حيـث نشأ والدي؛ و"كارشت"، المكان الذي عاشت فيه أمـي.هنالـك جبلـين ضخمين علـى طرفـي هـذه القـري–"تـور غـار"، الجبـل الأسـود إلـى الجنوب، و "سبين غار"، الجبل الأبيض إلى الشمال.

نحن عادة ما نمكث في "بركانا" في منزل جـدي، حيـث نشـأ والـدي. مثل جميعالمنازل في المنطقة تقريبـاً، كـان مسـطح السـطح ومبنـي من الحجر والطين. أنا كنـت أفضـل البقـاء فـي "كارشـت" مـع أبنـاء خؤولتي لأنه كان لديهم منزل من الاسمنت مع حمام،وكان هناك عدد كبير من الأطفال العب معهـم. أنـا وأمـي كنـا نمكثفـي جنـاح النسـاء بالطابق الأسفل. تقضي النسـاء أيـامهن فـي رعايـة الأطفـال وإعـداد الطعام لخدمة الرجال فـي مقـر اجتمـاع الرجـال "الحجـرة"بالطـابق العلوي. كنت أنـام مـع بناتخـالي"أنيسـة وسـمبل" فـي غرفـة كانتبهـا

ساعة على شكل مسجد ودولاب على الحائطيحتوي على بندقية وبعض الحزم من صبغ الشعر.
يبدأ اليوم في القرية مبكراً، وحتى أنا، التي كنت أحب أن أنامفي وقت متأخر، صرت استيقظ مع صوت صياح الديوك وجلبة الأطباق عند تحضير النساء لوجبة الإفطار للرجال. في الصباح تنعكس أشعة الشمس من على قمة الجبل الأسود"تور غار"؛ عندما نستيقظ لأداء صلاة الفجر، وهو الفرض الأول من صلوتنا اليومية الخمس، كنا ننظر إلى جهة اليسار ونرى القمة الذهبية للجبل الأبيض"سبين غار" مضاءة بأشعة الشمس عند شروقها، مثل سيدة بيضاء ترتدي "جومار تيكا"– سلسلة من الذهب على جبينها.

غالبا ما يأتي المطر ويغسل كل شيء ويجعله نظيفاً، وتظل السحب معلقةفوقالمدرجات الخضراءعلى التلال حيث يزرع الناس الفجل وأشجار الجوز. كانت خلايا النحل منتشرة هنا وهناك. كنت أحب العسل جلوبي، الذي كنا نأكله مع الجوز. أسفل النهر في نهاية "كارشت" كانت هناك جواميس الماء. أيضا كان هناك كوخبه ساقية خشبية توفر الطاقة لتشغيل أحجار الرحى الضخمة لطحن القمح والذرة وتحوله إلى دقيق، ثميقوم الأولاد الصغار بتعبئته في أكياس. بجانب ذلك الكوخكان هناك كوخ أصغر منه، بداخله لوحة بهاأسلاك مبعثرةتتدلى خارج اللوحة. القرية غير موصلةبأي شبكة كهرباء حكومية،ويتحصل الكثير من القرويين على الطاقة الكهربائية من الترتيبات المؤقتة لمشاريع توليد الطاقة الكهرومائية هذه.
عند ما يتقدم اليوم وترتفع الشمس لأعلى، يبدأ الجبل الأبيضبالتوشحبأشعة الشمس الذهبية تدريجياً،وبحلول المساء يغمره الظل عند ماتعتلي الشمسقمة الجبل الأسود. نحدد مواقت صلواتنا من خلالانعكاس الظل على الجبال. عندما تصل الشمس إلى صخرة معينة، نقوم بأداء صلاة العصر أو صلاة الظهر. ثم في المساء، عندما تصيرالقمة البيضاء للجبل الابيض، أكثر جمالا مما كانت عليه في الصباح كنا نؤدي "مقام" أو صلاة المساء. تستطيع أن ترى الجبل الأبيض من كل مكان، والدي قال لي انه يعتبرهرمز للسلام في أرضنا، راية بيضاء في نهاية وادينا. كان والدي يعتقد،عندما كان طفلا،أن هذا الوادي الصغير هو العالم بأكمله، وأنه إذا ذهب أي شخص وراء النقطة التي يقبل فيها كلا الجبلين السماء، فإنه سوفيسقط.
بالرغم من أنني ولدت في المدينة، إلا أني أشارك والدي حب الطبيعة. أنا أحب التربة الخصبة، واخضرار النباتات والمحاصيل، والجواميس والفراشات الصفراء التي كانتترفرف حوليكلما أمشي. كانت القرية فقيرة جدا، ولكن عندما نصل اليهاكانت أسرتنا الممتدة تقوم بتنظيم عيد كبير. كانت هناك أوعيةمليئةبالدجاج والأرز والسبانخ المحلي ولحم الضأن المتبل بالبهارات الحارة، كلها طبخت على النار بواسطة النساء، تليها أطباق من التفاح المقرمش، شرائح من الكيك الاصفر وكفتيرة كبيرة من الشاي بالحليب. لم يكن لدى أي من

الأطفال لعب أو كتب. كان الأولاد يلعبونالكريكتعلى احد المجاري الصخرية وحتى الكرة كانت مصنوعة من أكياس بلاستيكية مربوطةمع بعضهابأربطة من المطاط.

كانت القرية مكانا منسياً، وكان الماء يؤخذمن النبع. العدد القليل من المنازل الإسمنتية، تم بناؤها من قبل الأسر التي ذهب آباءها أو أبناءهاللجنوب للعمل في المناجم أو إلى الخليج، حيث أرسلوا الأموال إلى مسقط رأسهم. هناك أربعين مليون من البشتون، منهم عشرة ملايين يعيشون خارج وطننا. قال والدي أنه من المحزن أنهملن يتمكنوا من العودة أبدا لأنهم بحاجة إلى الاستمرار في العمل للحفاظ على النمط الجديدلحياة أسرهم. هناك العديد من الأسر ليس بها رجال. يزورون أسرهم فقط مرة واحدة في السنة، وعادة ما يولدطفل جديد بعد تسعة أشهر.

كانت هناك منازل متناثرة أعلى وأسفل التلال، مبنية من القضبان المضفورة مع القصب والطين، مثل منزل جدي، وهذه غالبا ما تنهار عندما تحدث فيضانات. كان الأطفال يتجمدونأحيانا حتى الموت في فصل الشتاء. لم تكن هناك مستشفى. كانت هناك عيادة في شاهبور فقط، وإذا سقط أي شخص من المرض في القرى الأخرى،كان على أهله أن يحملوه إلى هناك على إطار خشبي،نطلق عليه على سبيل المزاح (إسعاف شانجلا). إذا كان هناك أي شيء خطير سيكون عليهم السفرفي رحلة طويلة بالحافلة لمينجورا، إلا إذا كانوامحظوظين بما فيه الكفاية ويتعرفواعلى شخص لديه سيارة.

يقوم السياسيون عادة بزيارةالمنطقة خلال فترة الانتخابات فقط،يوعدون ببناء الطرق وإدخال الكهرباء والمياه النظيفة وبناء المدارس ويمنحون المال ومولدات الكهرباء للسكان المحليين ذوي النفوذ، نحن نسميهم أصحاب المصلحة، الذين يأمرون مجتمعاتهم بالتصويت لجهة معينة. بالطبع ينطبق هذا على الرجال فقط. النساء في منطقتنا لا يصوتون. بعد ذلك يختفون بعيداً في اسلام أباد إذا ماتم انتخابهم للجمعية الوطنية، أو في بيشاور لمجلس المحافظة، ولا نسمع أي شيء عنهم أو عن وعودهم.

كان أبناء خالييسخرون منيلسلوك المدينة الذي كنت انتهجه. كنت لا أحب المشي وأنا حافية القدمين. أقرأ الكتب، وكانت لي لهجة مختلفة، واستخدم تعابير عامية من مينجورا. كانت ملابسي في الغالب من السوقولم تكنمصنوعة في البيت كما ملابسهم. كان أقاربي يسألونني "هل ترغبينبطهي دجاج لنا؟" وكنت اقول لهم: "لا الدجاجةبريئةيجب أن لا نقتلها". لقد ظنوا أنني راقية لأنيجئت من المدينة. أنهم لم يدركوا أن الناس من إسلام أباد أو حتى بيشاور يعتقدون أنني متخلفة.

أحيانا كنا نذهب إلىالجبال وأحيانا الى النهر في رحلات عائلية. كان النهر كبيراً، وعميقاً جدا ويمكن عبوره سريعاً عندما تذوب الثلوج في فصل الصيف. كان الأولاد يصطادون السمك باستخدام ديدان الأرض المربوطة كحبات الخرز علىخيطيتدلى من عصا طويلة.

بعضهم كان يطلق صفيراً، لاعتقـادهم انهيجـذب الأسـماك. ولـم تكـن الاسماك لذيذةللغايـة. كـانت أفواهها خشـنة جـدا ولهـا قـرون. نحـن نسميها"جاكورتي". أحيانا

تـذهب مجموعـة مـن الفتيـات فـي رحلـة الـى النهـر يحملـن أوانـي مليئـةبالأرز والشـربات. كـانت لعبتنـا المفضـلة هـي "الزفـاف". كنـا ننقسم الى مجموعتين، بـافتراض أنكـل مجموعـة تشـكل عائلـة، ثـم تقوم كل عائلة بخطبة فتاة حتى تستطيع إجراء مراسم الـزواج. كـان الجميعيريد منـي أن أكـون ضـمنعائلتهمحيث أنـي كنـت مـن مينجـورا وراقية. كانت أجمل فتاة هـي"تـانزيلا"، ونحـن غالبـا مـا نعطيهـا إلـى المجموعة الأخرى حتى يمكنناأخذهاكعروس لنا.

SOURCE LANGUAGE

النص الأصلي

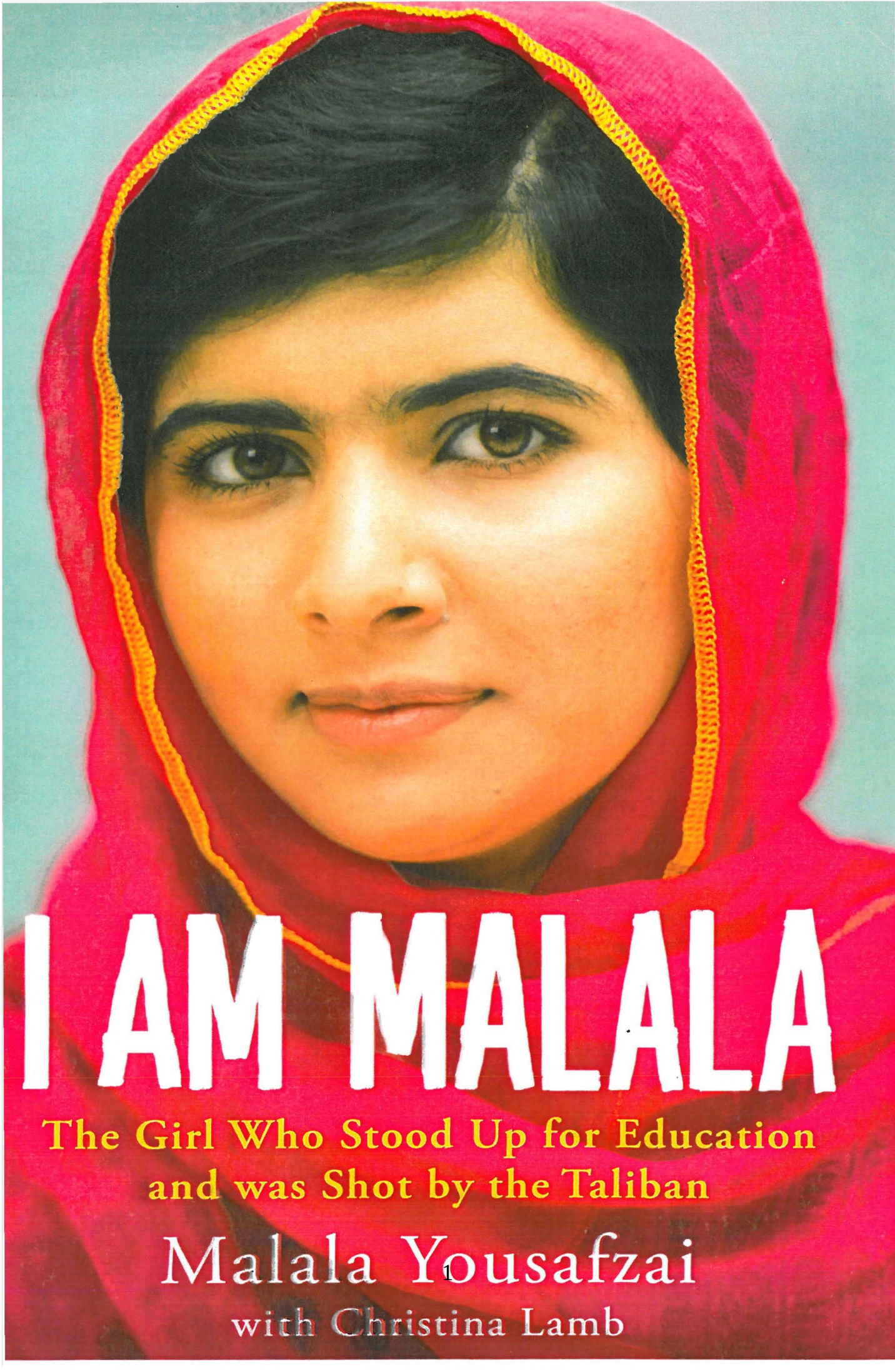
I AM MALALA
The Girl Who Stood Up for Education and was Shot by the Taliban
Malala Yousafzai
with Christina Lamb

I AM MALALA

TheGirlWho StoodUpforEducation
and wasShotbythe Taliban

Malala
Yousafzai

withChristina
Lamb

Weidenfeld&Nicols
on
LONDON

AFGHANISTAN
20 kms
SWAT
Swat
SHANGLA
Karshat
Shahpur
Barkana
Matta
Mingora
Alpuri
Imam Deri
(Fazlullah's HQ)
Malakand
TAJIKISTAN
Line of control
BAJAUR
Kabul
Tora Bora
Mardan
Abbottabad
KASHMIR
Peshawar
Islamabad
Rawalpindi
WAZIRISTAN
Quetta
IRAN
Karachi
ARABIAN
SEA

Toallthe
.girlswhohavefacedinjusticeandbeensilenced
Together wewill
.beheard

PROLOGUE

TheDayMyWorld Changed

I COME FROM acountrywhich was created at midnight.When I almost died itwasjust aftermidday .I Oneyearagolleftmyhome for school andneverreturned. I wasshot byaTalibanbullet and wasflownout ofPakistanuncon• scious. Some people say Iwill never return home but Ibelieve firmly inmyheart that Iwill.Tobetorn fromthe"countrythat youloveisnot .somethingtowishonanyone

Now, every morning when Iopen my eyes, Ilong to see my old room full of my things, my clothes all over the floor and myschool prizes ontheshelves.Instead Iaminacountrywhich is fivehours behind mybelovedhomelandPakistanandmyhome in the SwatValley. Butmycountryiscenturiesbehind this one. Here there isany convenience youcanimagine.Water running from every tap, hot or cold asyou wish; lights atthe flickofaswitch, day and night, no need foroillamps; ovens to cook on that don't need anyone to go and fetch gas cylindersfrom the bazaar. Here everything issomodern onecanevenfindfoodready cookedin .packets

When I stand infront •ofmywindowandlookout,Iseetallbuild ings,long roads fullofvehiclesmovinginorderly lines,neat green hedges and lawns, and tidypavementstowalk

on.Iclosemyeyes and foramoment Iamback inmyvalley - the high snow-topped mountains,greenwaving fieldsandfreshbluerivers -andmyheart smiles when itlooks atthepeople ofSwat.Mymind transportsme

1

back tomy school and there Iam reunited with myfriends and teachers.Imeet mybestfriend Monibaandwesittogether,talking andjoking asiflhad .neverleft
.Then IrememberIaminBirmingham,England

Thedaywhen everythingchangedwasTuesday,9October2012.It wasn't thebest ofdaystostart with asitwasthe middle ofschool exams,though as abookishgirl Ididn't mind them .asmuch as some ofmyclassmates
That morningwearrived inthe narrow mud lane offHaji Baba Road inour usual processionofbrightlypainted rickshaws,sput• tering dieselfumes, eachonecrammedwith fiveorsixgirls. Since the time ofthe Talibanour school has had no sign and the orna• mented brass door in awhite wall across from the woodcutter's .yard givesnohint ofwhatliesbeyond
For usgirlsthatdoorway was likeamagicalentrance toour
Own specialworld. Asweskippedthrough,wecast offour head• scarveslike winds puffingaway clouds to make way for the sun then ran helter-skelterupthe steps. Atthe topofthe stepswasan
open courtyardwith doors toallthe
classrooms.Wedumped our backpacksinourrooms thengatheredformorningassemblyunder the sky,our backs tothemountains aswestood toattention.One girlcommanded, '*Assaanbash!*' or'Stand atease!' and weclicked our heels and responded, '*Allah:* Then she said, '*Hoosheyar!*' or Attention!'andweclickedour :heelsagain. '*Allah*
The school was foundedby my father before Iwasborn, and on the wall above usKHUSHAL SCHOOL was painted proudlyin red and white letters. Wewent toschool sixmorningsaweek and

asafifteen-year-oldinYear9myclasseswerespent chantingchem• icalequationsorstudyingUrdu grammar;writing storiesinEnglish with morals like'Haste makes waste' ordrawingdiagramsofblood circulation-most ofmyclassmateswanted tobedoctors.It'shard toimaginethat anyonewould seethat asathreat. Yet; outsidethe door totheschool laynotonlythe noise and ,crazinessofMingora

themain cityofSwat, butalsothoselikeTheTalibanwhothink .girls should not gotoschool

That morninghad begun like any other, though a little later thanusual. It was exam time so school started at nine instead ofeight, which was good asIdon't like getting up and can sleep throughthe crowsofthecocksandtheprayer callsofthemuezzin. Firstmyfather wouldtrytorouse me.'Time togetup,*Janimun:* he would say.This means'soulmate'inPersian,and healwayscalled methat atthe start oftheday.'Afewmore minutes,*Aba,*please;I'd beg, then burrowdeeper under the quilt. Then mymother would come.'*Pisha;*shewould call.Thismeans 'cat'andishername forme. Atthis pointIo realizethetime and shout, '*Bhabi,* I'mlate!'Inour culture,every man isyour 'brother' and every woman your 'sister: That's how wethink ofeach other. When my father first brought his wifetoschool, allthe teachersreferredtoher as'my brother's wife' or *Bhabi.* That's howitstayedfrom then .on.Weall callher *Bhabi*now

Islept inthe long room atthe front ofour house, and the only furniture was abed and acabinet which Ihad bought with some ofthe money Ihad been given asan award for campaigningfor peace inour valleyand the right forgirlstogotoschool.Onsome shelveswere allthe gold-coloredplastic cups and trophiesIhad won forcoming firstinmyclass.Only twice had Inot come top- both times when Iwasbeaten bymyclassrivalMalkae-Noor.Iwas .determined itwould nothappenagain

The schoolwas notfarfrom myhome and Iused towalk, but

since the start oflastyear Ihad been going with other girlsbybus. Itwasajourneyofjustfive minutesalongthestinky stream, pastthe giant billboardforDr.Humayuns Hair TransplantInstitutewhere wejoked that one ofour bald male teachersmust havegone when hesuddenlystarted tosprout hair. Iliked the bus becauseIdidn't getassweatyaswhen Iwalked,and Icould chat with myfriends and gossipwith Usman Ali,the driver,who wecalled *BhaiJan,* or
.Brother:Hemade usalllaugh withhiscrazy stories'

Ihad started taking the bus becausemy mother was scared of mewalking onmyown.Wehadbeen gettingthreats allyear.Some were inthe newspapers,some were notes ormessagespassed on bypeople.Mymother wasworriedabout me,but the Taliban had never come foragirland Iwasmore concernedthey would target myfather ashe was alwaysspeakingout against them. His close friend andfellowcampaignerZahid Khan hadbeen shotintheface inAugust onhiswaytoprayers andIknew :everyonewastellingmy father, Take care,you'll be*next*

Our street could notbereachedbycar,socoming home Iwould getoffthe bus on the road below bythe stream and gothrough abarred iron gate and up aflight of steps.Ithought ifanyone attackedmeitwould beonthose steps. Likemyfather I'vealways been adaydreamer,and sometimesin1essonsmymind would drift and I'dimaginethat on the wayhome aterrorist might jump out and shoot meonthose steps. Iwonderedwhat Iwould do.Maybe I'dtake offmy shoes and hit him, but then I'dthink ifIdid that there would beno differencebetweenme and aterrorist.Itwould bebetter toplead, <OK,shoot me,but firstlisten tome.What youaredoing iswrong. I'mnot :againstyoupersonally,Ijustwantevery girltogotoschool Iwasn't scaredbutIhad started making surethegatewaslocked atnight andasking Godwhat happenswhen youdie.Itoldmybest friend Monibaeverything.We'dlived onthe same street when we were little and been friends since primary school and weshared everything, Justin Bieber songs and Twilightmovies,the best face-lightening creams.Her dream was to be afashion designer althoughsheknew her family would never agree toit,soshetold everyoneshewanted tobeadoctor. It'shard forgirlsinoursociety tobeanythingother than teachersordoctors ifthey canwork at all.Iwas different-

Inever hid my desire when Ichangedfrom wantingtobeadoctor towantingtobeaninventororapolitician. Monibaalwaysknew ifsomethingwaswrong. Don't *worry:* :Itold her.(TheTalibanhavenever comeforasmall girl

When ourbuswascalled,werandown the steps.Theother girls allcoveredtheir heads before emergingfrom the door and climb• ing up into the back.Thebus wasactuallywhat wecalla*dyna,* a white ToyotaTownAcetruckwiththree parallel benches,onealong either sideand oneinthemiddle.Itwascrampedwith twentygirls and three teachers.Iwassitting onthe leftbetweenMonibaand a girlfrom the yearbelow called Shazia Ramzan,holdingour exam folderstoour chests and our school bagsunder our .feet

After thatitisallabit hazy. Iremember thatinside the *dyna* itwas hot and sticky.The cooler days were late coming and only the farawaymountainsofthe Hindu Kush had afrostingofsnow. Theback where wesathad nowindows,just thick plastic sheeting atthe sides which flapped and wastoo yellowedand dusty to see through.Allwecould seewasalittle stamp ofopen skyout ofthe back and glimpsesofthesun, atthat time ofdayayelloworbfloat• inginthe dust that .streamedovereverything

I rememberthat the bus turned right off the main road at the armycheckpoint asalwaysand rounded the corner past the desertedcricket ground.Idon't .rememberanymore

Inmydreams about theshootingmyfather isalsointhebusand heisshot with me, and then there are .men everywhereand Iam searchingformyfather

Inreality whathappenedwaswesuddenlystopped.On ourleft was the tomb ofSher Mohammad Khan, the financeminister of the firstruler ofSwat,allovergrownwith

grass, and on our right thesnack factory.Wemust havebeen .lessthan 200metersfrom the checkpoint

We couldn'tseein front, but ayoung bearded man in
• light
coloredclotheshad stepped into the road and wavedthe .van down

lsthistheKhushalSchoolbus?'heasked ourdriver.Usman ' Bhai

Janthoughtthiswasastupid questionasthe name .waspainted on the side.'Yes;hesaid

.Ineed informationabout some children; saidtheman'

.Youshould gototheoffice;saidUsman BhaiJan'
Ashewasspeaking another youngman inwhite approachedthe back ofthe van. 'Look, it'sone ofthose journalists coming toask foraninterview;saidMoniba.Sincel'dstarted speakingatevents with myfather tocampaignforgirls' education and against those likethe Talibanwho want tohide usaway, journalistsoften came, .evenforeigners,though notlikethis intheroad
The manwas wearingapeaked cap and looked like acollege student.Heswunghimself .ontothetailboardatthebackandleaned inright overus
.Who isMalala?'hedemanded'
Noonesaidanything,butseveralofthegirlslooked .atme.Iwas theonlygirlwith myfacenot covered
That's whenhelifted up ablack pistol. Ilater learneditwas a Colt 45. Some ofthe girls screamed.Monibatellsme .Isqueezed herhand
Myfriends sayhefired threeshots, one after another.Thefirst went throughmylefteyesocket and out under myleftshoulder.I slumpedforwardonto Moniba,blood coming from myleftear,so theother twobullets hitthe girlsnext tome.One bulletwent into Shazia'slefthand. Thethird wentthroughherleftshoulderandinto theupper right arm .ofKainat Riaz
Myfriends later toldme the gunman'shand .wasshakingashe fired
Bythetime wegottothehospitalmylonghair .andMoniba'slap werefullofblood

.Who isMalala?IamMalala andthis ismystory

PART ONE

Before theTaliban

سوري سوري په ګولو د بې ننګئ آواز د رامه شه مئینه

Soreysoreypagolorashey
Dabenangai awazderamashamayena

Rather Ireceive your bullet-riddled body with honour
Than newsofyour cowardiceonthebattlefield

(Pashtocouplet
Traditional)

1

ADaughterIsBorn

WHEN I WAS born, people in our village commiserated with mymother and nobody congratulated myfather. Iarrived atdawn •asthelaststarblinked out.WePash tuns seethisasanauspicioussign.Myfather didn'thaveanymoney forthehospitalorforamidwife soaneighborhelped atmybirth. Myparents'first childwasstillborn;but Ipopped outkicking and screaming.Iwasagirlinaland whereriflesarefiredincelebration ofason, while daughtersarehidden awaybehind acurtain,their .roleinlifesimply toprepare food andgivebirth tochildren Formost Pashtunsit'sa gloomydaywhen adaughteris born. My father's cousin Jehan Sher Khan Yousafzaiwasone ofthe fewwho cametocelebratemybirth andevengaveahandsomegiftofmoney. Yet,hebroughtwith him avast family tree ofour clan,the Dalok• helYousafzai,going right back tomygreat-great-grandfather and showingonly the male line.Myfather, Ziauddin, isdifferentfrom most Pashtunmen. Hetookthetree,drewalinelikealollipop fromhisname and atthe end ofithewrote, 'Malala' Hiscousin laughed inastonishment. Myfather didn'tcare.Hesayshelooked intomy eyesafterIwasborn and fellinlove.Hetold people, 'Iknow there issomething differentabout this child: He even asked friends to throw

dried fruits, sweets and coins into mycradle, somethingwe .usually onlydoforboys

Iwas namedafter Malalai ofMaiwand,the greatest heroine of Afghanistan. Pashtuns area proud people of many tribes split betweenPakistanandAfghanistan.Weliveaswehaveforcent uries

byacode called*Pashtunwali,* which obligesustogivehospitalityto allguests and inwhich themost important value is*nang* orhon- our. Theworst thingthat canhappen toaPashtunislossofface. Shameisavery terriblething foraPashtunman. Wehave asay• ing,'Withouthonour,theworld counts fornothing: Wefight and feud among ourselvessomuch that our word forcousin - *tarbur*

isthe sameasour word forenemy.Butwealwayscome - togetheragainst outsiderswho try toconquerour lands. AllPashtunchil• dren grow upwith the story ofhow Malalaiinspiredthe Afghan armytodefeattheBritishin1880 inoneofthebiggest battles ofthe Second .Anglo-AfghanWar

Malalaiwas thedaughter of ashepherd in Maiwand,asmall

town onthe dusty plains westofKandahar.When shewasateen• ager,both herfather andtheman shewassupposedtomarry were among thousands of Afghansfightingagainst the Britishoccu• pation oftheir country.Malalaiwent tothe battlefieldwith other women from thevillagetotend thewoundedand takethem water. Shesawtheir men were losing,and when the flag-bearerfellshe lifted her white veil up high and .marched onto the battlefieldin front ofthetroops

Younglove!'sheshouted.'Ifyoudonotfallinthebattle ' •ofMai

wand then, byGod, someoneissavingyouasasymbol ofshame: Malalaiwaskilled under fire,butherwords andbraveryinspired

the mento turn the battle around. They •destroyedanentire bri

gade,oneoftheworst defeatsinthehistory oftheBritisharmy.The Afghanswere soproud that the lastAfghan king built aMaiwand victory monument in the centerofKabul.In highschoolIread some SherlockHolmesand laughedtoseethat this wasthe same battle where Dr.Watsonwas wounded before becomingpartner tothe great detective.InMalalaiwePashtunshave ourvery own JoanofArc.Manygirls'schoolsinAfghanistanarenamed afterher. Butmygrandfather,who wasareligiousscholar and villagecleric, didn't likemyfather givingmethat name. .'It'sasadname: hesaid
:Itmeans g r i e f-stricken'

When Iwas ababy my father used to sing me asong written bythefamous poet RahmatShah ,SayelofPeshawar.Thelastverse ends

,OMalalai ofMaiwand
Riseonce moretomake
Pashtunsunderstandthesongofhonour, Yourpoetic
,wordsturn worlds around
Ibegyou,riseagain

Myfather told the story ofMalalaitoanyone who came toour house. Iloved hearing the story and the songs myfather sang to me,and the waymyname floated .onthewind when people called it

Welivedinthemost beautifulplaceinalltheworld. Myvalley,the SwatValley,isaheavenlykingdomofmountains,gushingwaterfalls and crystal-dear lakes.WELCOME TO PARADISE, itsaysonasign asyou enterthe valley.In oldentimes Swatwas called Uddyana, which means 'garden'.Wehave fieldsofwild flowers,orchardsof deliciousfruit, emeraldmines and rivers fulloftrout. People oftencallSwatthe SwitzerlandoftheEast - weeven had Pakistan'sfirst skiresort. The rich people ofPakistancame on holiday to enjoy our clean airand sceneryand our Sufifestivalsofmusic and dancing.And sodidmany foreigners,allofwhom wecalled *angrezan* English'-whereverthey camefrom. EventheQueen '-ofEngland

came, and stayed intheWhite Palace that wasbuilt from thesame marble astheTaj Mahal byourking,
.thefirstwaliofSwat
Wehave aspecialhistory too.Today Swatispart oftheprovince ofKhyber Pakhtunkhwa, or KPK, asmany Pakistaniscall it,but Swatused tobeseparatefrom therestofPakistan.Wewereonce aprincelystate, oneofthree with the neighboringlands ofChitral and Dir.Incolonialtimes our kings owed allegiancetothe British but ruled their own land. When the BritishgaveIndia independ• encein1947 anddivided it,wewentwiththenewlycreated Pakistan

but stayedautonomous.Weused the Pakistanirupee, but thegov• ernment ofPakistancould only intervene on foreign policy. The wali administered justice,kept the peace betweenwarring tribes and collected*ushur* - ataxoftenper cent ofincome -with which hebuilt roads, .hospitalsand schools

Wewere onlyahundred miles from Pakistan'scapital Islama• bad asthe crowfliesbut itfeltasifitwasinanother country.The journey took atleast fivehours byroad over the MalakandPass, avast bowl ofmountains where long ago our ancestorsled bya preachercalledMullah Saidullah(knownbythe BritishastheMad Fakir)battled British forcesamong thecraggy peaks.Among them wasWinstonChurchill,whowrote abook about it,andwestillcall one ofthe peaks Churchill'sPicketeven though he was not very complimentaryabout ourpeople.Attheend ofthepassisagreen• domed shrine where people throw coins to give thanks for their .safearrival

Noonelknew hadbeen ,toIslamabad.Beforethetroublescame most people, likemymother,hadnever been outside .Swat

Welived inMingora,the biggesttown inthe valley,in factthe only city.Itused tobe asmall place but many people had moved infrom surrounding villages,making itdirty and crowded.Ithas hotels, colleges,agolfcourse and afamous bazaar forbuying our traditional embroidery, gemstones and anything you can think of. The Marghazarstream loops through it, milky brown from the plastic bags and rubbish thrown into it.Itisnot clear likethe streamsinthe hilly areas orlikethe wide River

Swatjust outside town, where people fishedfortrout and which wevisited onholi• days. Our house was in Gulkada,which means 'place offlowers: but itused tobecalledButkara,or'place ofthe Buddhiststatues: Nearourhome wasafieldscatteredwithmysteriousruins -statues oflions ontheir haunches,broken columns,headlessfiguresand, oddest .ofall,hundredsofstone umbrellas

Islam cameto our valleyinthe eleventhcentury when Sultan Mahmud ofGhazni invaded from Afghanistan and becameour

ruler, but inancient times SwatwasaBuddhistkingdom.TheBud• dhists had arrived here inthesecond century and their kingsruled the valley formore than 500 years. Chineseexplorerswrote stor• iesofhow there were 1,400 Buddhistmonasteriesalong thebanks ofthe River Swat, and the magicalsound oftemple bells would ring out across the valley.The templesare long gone, but almost anywhereyou goin Swat,amid allthe primroses and other wild flowers,youfindtheir remains.Wewould oftenpicnic among rock carvings ofasmiling fat Buddha sitting cross-leggedon alotus flower.Therearemany storiesthat Lord Buddhahimself camehere becauseitisaplaceofsuchpeace,and some ofhisashes .aresaidto beburied inthevalleyinagiant stupa

Our Butkararuins were amagicalplace to playhide and seek. Once some foreignarchaeologistsarrived to do some work there and told usthat intimes gone byitwasaplace ofpilgrimage,full ofbeautiful templesdomed with gold where Buddhist kings lay buried. My father wrote apoem, TheRelics ofButkara,which summed upperfectlyhow temple and mosquecould existsideby side:Whenthevoiceoftruth risesfrom theminarets,/TheBuddha smiles,/And thebroken :chain ofhistory reconnects

WelivedintheshadowoftheHindu Kushmountains,where the men went toshoot ibex and golden cockerels.Our housewasone storey and proper concrete.On theleftwere steps uptoaflatroof bigenough foruschildrentoplaycricket on.Itwasourplayground. Atdusk myfather and hisfriends often gatheredto sitand drink teathere.

SometimesIsatonthe rooftoo,watchingthesmoke rise

from the cookingfiresallaround andlisteningtothenightly .racket ofthe crickets

Our valleyisfull offruit trees on which grow the sweetestfigs and pomegranates and peaches, and inour garden wehad grapes, guavasand persimmons. There was aplum tree inour front yard which gavethe most deliciousfruit. Itwas alwaysarace between usand thebirds togetto them.Thebirds lovedthattree. Eventhe .woodpeckers

Foraslong asIcanremembermymother hastalked tobirds. At thebackofthehouse wasaverandawhere thewomen gathered.We knew whatitwaslike tobehungry somymother alwayscooked extra and gavefood topoor families.Ifthere wasanyleftshefedit tothe birds. InPashto welovetosing *tapey,*two-linepoems, and asshescatteredthericeshewould singone:'Don't killdovesinthe garden./Youkilloneand theothers won't :*come*

Iliked to siton the roof and watch the mountains and dream. Thehighest mountain ofallisthe pyramid-shaped Mount Elum. To us it'sa sacred mountainand so high that it always wears a necklaceoffleecyclouds.Eveninsummerit's frosted withsnow.At school welearned that in327 BC, even before theBuddhistscame toSwat,Alexanderthe Great swept into thevalleywith thousands ofelephantsandsoldiers onhiswayfrom AfghanistantotheIndus. The Swati people fled up the mountain, believingthey would be protectedbytheir godsbecause itwassohigh. ButAlexanderwasa determined andpatient leader.Hebuiltawoodenramp fromwhich hiscatapultsandarrows couldreach thetopofthemountain.Then heclimbedupsohecould .catchhold ofthestarofJupiter asasym• bolofhispower

From the rooftopI watched the mountains change with the seasons.In theautumn chill winds would come. In thewinter everythingwaswhite snow,longicicleshangingfrom therooflike daggers,which weloved to snap off.We raced around, building snowmen and snow bears and trying to catch snowflakes.Spring waswhen Swatwas atitsgreenest.Eucalyptusblossomblew intothe house, coating everything white, and the wind carried the pungentsmell ofthe ricefields.Iwasborn insummer,which was perhapswhyitwasmyfavoritetime ofyear,eventhough inMin• gora summerwashot and dry and the stream stank where people dumpedtheir .garbage

When Iwasborn wewereverypoor. Myfather and afriend had founded their first school and welived in ashabby shack oftwo rooms oppositethe school.Islept withmymother and father in

one room and the other was forguests.Wehad nobathroom or kitchen,and mymother cooked onawood fireonthegroundand washed our clothesatatapintheschool.Our homewasalwaysfull ofpeople visiting from thevillage.Hospitalityisanimportantpart .ofPashtunculture

Twoyears afterIwasborn mybrother Khushalarrived.Likeme hewasborn athome aswestillcould not afford the hospital,and he was named Khushallike my father'sschool,after the Pashtun hero KhushalKhan Khattak,awarrior who was also apoet.My motherhad beenwaiting forasonandcould not hideherjoywhen hewasborn. Tomeheseemed very thin and small, likeareed that could snap inthewind, buthewastheappleofhereye,her*ladla.*It seemed tomethat hiseverywishwashercommand.Hewantedtea allthetime, ourtraditionalteawithmilk andsugar andcardamom, but even my mother tired ofthis and eventuallymade some so bitter thathelostthetasteforit.Shewanted tobuyanewcradle for him -when Iwasborn myfather couldn'tafford onesothey used anoldwoodenonefrom theneighborswhich wasalready third or fourth hand -but myfather refused.'Malala swunginthat cradle; he said. 'Socan he: Then, nearly fiveyears later, another boy was born - Atal,bright-eyed and inquisitivelikeasquirrel.After that, said myfather, wewere complete.Three childrenisasmall family bySwatistandards,where most .people haveseven oreight

I played mostly with Khushal because he was just two years youngerthan me, but wefought allthe time.

Hewould gocrying tomymother and Iwould gotomyfather. 'What's wrong,*Jani*?'hewould ask.Likehim Iwasborn double-jointed and canbend my fingersright backonthemselves.And myankles clickwhen Iwalk, which .makes adults squirm

Mymother isvery beautifuland myfather adored her asifshe were afragile china vase,never laying ahand onher,unlike many ofourmen. Hername TorPekaimeans 'raven tresses'eventhough her hair ischestnutbrown. Mygrandfather,Janser Khan, hadbeen listeningtoRadio Afghanistanjust beforeshewasborn and heard

thename. I wished
Ihadherwhite-lilyskin,finefeaturesandgreen eyes,but
instead had inherited the sallow complexion,wide nose
and brown eyesofmyfather. Inour
cultureweallhavenicknames
aside from *Pisho,* which my mother had called me since -
Iwas ababy, some ofmy cousins called me *Lachi,* which
isPashto for
cardamom'.Black-skinnedpeople areoften called white '
and short people tall.Wehaveafunny
senseofhumor.Myfather wasknown inthefamily as*Khaista*
.*dada,*which means beautiful
When Iwasaround fouryears oldlasked myfather,
'*Aba,*what colorareyou?' Hereplied,'Idon't know,abitwhite,
:abitblack
.It'slikewhen onemixes milk with tea; Isaid'
Helaughedalot,butasaboyhehadbeensoself-consciousa
bout being dark-skinned that hewent
tothefieldstogetbuffalo milk to spread
onhisface,thinkingitwould make him lighter. It wasonly
when he met mymother that he
becamecomfortableinhis own skin. Beinglovedbysuch
.abeautifulgirlgavehim confidence
In oursociety marriages are usually arranged by
families,but
theirs wasalovematch. Icould listenendlesslytothe
storyofhow they met. Theycame from
neighboringvillagesinaremote valley inthe upper
Swatcalled Shanglaand would seeeach other when
myfather went tohisuncle'shouse tostudy,which was next
door tothat ofmymother'saunt. Theyglimpsedenough
ofeachother to know they liked one another,but

forusitistaboo toexpress such things. Instead .hesentherpoems shecould not read

Iadmiredhismind; ' shesays. And .me,herbeauty; helaughs

Therewasonebigproblem.Mytwograndfathersdidnotgeto n. Sowhen my father announced his desire to ask for the hand ofmymother,TorPekai,itwasclear neither sidewould welcomethe marriage.Hisown fathersaiditwasuptohim and agreed tosend abarber asamessenger,which isthe traditional waywePashtuns do this. Malik Janser Khan refused the proposal,but myfather is astubborn man and persuaded mygrandfathertosend thebarber again. Janser Khan's*hujra* wasagatheringplace forpeople totalk

politics, and my father wasoften there, sothey had got to know each other. Hemade himwaitnine months .butfinallyagreed

My mothercomes from afamily ofstrong women aswell as influentialmen. Her grandmother - mygreat-grandmother - was widowedwhen her childrenwereyoung, and her eldest son Janser Khan waslocked up because ofatribal feud with another family when hewasonlynine. To gethim releasedshewalked forty miles alone over mountains toappeal to apowerfulcousin. Ithink my mother would dothesameforus.Thoughshecannot read orwrite, myfather shares everythingwith her,telling her about hisday,the good and thebad. Sheteaseshim alotand giveshim advice about who shethinks isagenuine friend and who isnot, and myfather sayssheis alwaysright. MostPashtunmen neverdothis,assharing problemswithwomen isseenasweak. Heevenaskshiswife!'they sayasaninsult. Iseemyparents happyand laughingalot.People would seeusand .saywe areasweet family

Mymother isverypiousandprays fivetimes aday,though notin themosqueasthat isonlyforthe men. Shedisapprovesofdancing becauseshe saysGod would not like it,but she lovesto decorate herself with pretty things, embroidered clothes and golden neck• lacesand bangles. Ithink Iamabitofadisappointment toher asI amsolikemyfather anddon'tbother with clothes andjewels. Iget bored going tothe bazaar but Ilovetodance behind .closed doors with myschool friends

Growingup,wechildrenspent .mostofourtimewithourmother

Myfather was out alot ashe was busy, not just with his school, but also with literary societiesand*jirgas,* aswellastrying tosave the environment, trying tosaveour valley.Myfather came from a backwardvillageyetthrougheducationand forceofpersonalityhe made agood living forusandaname .forhimself

People likedto hear him talk, and Iloved the eveningswhen guests visited.Wewould sitonthefloor around alongplastic sheet which mymother laidwith food, and eatwith our right hand asis our custom,balling togetherriceand meat. Asdarknessfellwesat

bythe light ofoillamps, batting away the fliesasour silhouettes made dancingshadowsonthewalls.Inthe summermonths there would oftenbethunderandlightningcrashingoutside and Iwould crawlcloser tomyfather'sknee.

Iwould listen rapt ashetold stories ofwarringtribes, Pashtun leaders andsaints, oftenthroughpoems thathereadina melodious voice,crying sometimesas heread.Likemost peopleinSwatweare from the Yousafzaitribe. WeYousafzai(which somepeople spell YusufzaiorYousufzai)areoriginallyfrom Kandaharand areoneof thebiggestPashtuntribes, spread across PakistanandAfghanistan.

Our ancestorscametoSwatinthesixteenthcentury from Kabul,

where they had helped aTimurid *emperor* win back his throne afterhisowntribe removedhim. Theemperorrewardedthem with importantpositionsinthecourt andarmy,buthisfriends andrela• tives warned him that the Yousafzaiwere becoming sopowerful theywould overthrowhim. Soonenight heinvited allthechiefsto abanquetand sethismen onthem whiletheywereeating. Around 600 chiefs weremassacred. Only twoescaped,and they fled to Peshawar alongwith their tribesmen.Aftersome timetheywent to visitsome tribes inSwattowin their support sothey could return toAfghanistan.Butthey were socaptivatedbythebeauty ofSwat they instead decidedtostaythere and forced theother tribes out.

TheYousafzaidivided upalltheland among themale members ofthetribe. Itwasapeculiarsystemcalled *wesh*under which every fiveortenyearsallthefamilieswould

swapvillagesandredistribute the land ofthe new village among the men sothat everyonehad thechance towork ongood aswellasbadland. Itwasthoughtthis would thenkeep rival clans from fighting.Villageswere ruledby khans, andthecommonpeople,craftsmenandlaborers,weretheir tenants.Theyhad topaythem rent inkind, usually ashare oftheir crop.Theyalsohadtohelpthekhans formamilitia byprovidingan armed man forevery small plot ofland. Each khan kept hundreds ofarmed men both forfeuds and toraid .and loot other villages

AstheYousafzaiinSwathad noruler,there wereconstantfeuds

betweenthe khans and even within their ownfamilies.Our men allhaverifles,though these daystheydon't walkaround withthem likethey doinother Pashtunareas,andmygreat-grandfather used totellstories ofgun battles when hewasaboy.Inthe earlypart of the last century they becameworried about being taken over by the British, whobythen controlledmost ofthesurrounding lands. Theywere alsotired ofthe endless bloodshed.Sothey decided to try and find an impartial man to rule the whole .area and resolve their disputes

After acouple ofrulers who did not work out, in1917 thechiefs settled on aman called MiangulAbdul Wadoodastheir king.We know him affectionatelyas BadshahSahib, and though he was completelyilliterate,hemanagedtobring peace tothevalley.Taking arifle awayfrom aPashtunislike taking awayhis life,sohe could not disarm the tribes. Instead hebuilt forts onmountainsall across Swatand created anarmy.HewasrecognizedbytheBritish asthehead ofstatein1926 and installedaswali,which isourwori

for ruler. He set up the first telephone system and built the first primary school and ended the *wesh* system becausethe constant movingbetweenvillages meant no one could sellland orhad any incentivetobuild better .houses orplant fruit trees

In 1949, two years after the creation ofPakistan,he abdicated infavorofhiselder sonMiangulAbdul Haq Jehanzeb.Myfather always says,WhileBadshahSahibbroughtpeace, hissonbrought prosperity:Wethink ofJehanzeb'sreign asagolden period

inour history.Hehad studied in aBritish school in Peshawar,and perhapsbecausehisown father wasilliteratehewaspassionateabout schools and built many, aswellashospitalsand roads. Inthe 1950sheended thesystem where people paidtaxestothekhans. Butthere was no freedom ofexpression,and ifanyone criticizedthe wali, they could beexpelledfrom thevalley.In1969, theyear myfather wasborn, thewaligaveuppower andwebecamepart ofPakistan's North-West Frontier Province,which afewyears agochangedits name toKhyber .Pakhtunkhwa

SoIwasborn aproud daughterofPakistan,though likeallSwatisI thoughtofmyselffirstasSwatiandthen Pashtun,before .Pakistani

Near usonour street there wasafamily with agirlmy agecalled Safinaand twoboyssimilar inagetomybrothers,Bahar andBasit. Weallplayed cricketonthe street orrooftopstogether,but Iknew aswegotolder the girlswould beexpectedtostayinside. We'dbe expectedtocook andserve our brothers and fathers. While boys andmen could roam freelyabout town, mymother andIcould not gooutwithoutamalerelativetoaccompanyus,evenifitwasafi .ve• year-oldboy!Thiswasthetradition

Ihad decidedvery early Iwould not be like that. My father alwayssaid, 'Malala willbe free asabird: Idreamed ofgoing to the top ofMount Elum like Alexanderthe Great to touch Jupiter andevenbeyond thevalley.But,asI watchedmybrothersrunning across the roof, flying their kites and skillfullyflicking the strings back and forth to cut each other's down, Iwondered how free a .daughtercould everbe

2

MyFather theFalcon

I ALWAYS KNEW myfather hadtrouble with words. Sometimes they would get stuck and he would repeat the same syllable overand overlikearecord caught inagroove asweallwaited forthe next syllabletosuddenlypop out. Hesaid itfeltlikeawall came downinhisthroat. M's,p'sand k'swere allenemieslying in wait. Iteased him that one ofthe reasons he calledme *Jani* was becausehefound iteasiertosaythan Malala.Astutter wasaterri• blething foraman who soloved words and poetry. On each side ofthe family hehad anuncle with the same affliction.But itwas almost certainlymade worsebyhisfather,whose ownvoicewasa soaring instrument that could make words thunder anddance. Spit itout, son!' he'droar whenevermyfather gotstuck' inthe middle of a sentence. My grandfather's name was Rohul Amin, which means 'honest spirit' and is the holy name of the Angel Gabriel.He was so proud ofthe name that he would introduce himself topeople with afamous verse inwhich hisname appears. He was an impatient man atthe best oftimes and would flyinto arage over the smallestthing - like ahen going astray or acup getting broken.Hisfacewould reddenand hewould throw kettles andpots around.Inever knew mygrandmother, butmyfather says sheused tojoke with mygrandfather,'ByGod,just asyougreet us only with a frown, when Idiemay God giveyou awifewho never smiles:' Mygrandmother wassoworried about my father'sstutter that

when he was still ayoung boy she took him to seeaholy man

Itwasalongjourneybybus,then anhour's walkupthehilltowhere helived. Her nephewFazliHakim had to carry myfather on his shoulders.Theholyman wascalled LewanoPir,Saint ofthe Mad, becausehewassaid tobeableto calm lunatics.When they were taken intoseethe*pir,*heinstructed myfather toopen hismouth and then spat into it.Thenhetook some*gur,*dark molassesmade from sugar cane,and rolled itaround hismouth tomoistenitwith spit.Hethen tookoutthelump andpresentedittomygrandmother togivetomyfather,alittle each day.Thetreatment didnot cure thestutter.Actuallysomepeoplethoughtitgotworse.Sowhe n myfather wasthirteenand toldmygrandfatherhewasenteringapub• lic speakingcompetition hewas stunned. 'How canyou?' Rohul Amin asked,laughing.'Youtake oneortwo minutes :toutter just onesentence

Don't worry; replied myfather.'Youwrite thespeech and' :Iwill learn it

Mygrandfatherwasfamousforhisspeeches.Hetaught theologyinthe government high schoolin the village ofShahpur.Hewas alsoanimam atthe local mosque.Hewasamesmerizingspeaker. HissermonsatFriday prayerswere sopopularthat people would come down from the mountainsbydonkey .oronfoottohear him

My fathercomesfrom alarge family.He hadone much older brother,Saeed Ramzanwho IcallUncle *Khan dada,* and fivesis• ters. Their villageof Barkanawas very primitive and they lived crammed togetherin aone-storeyramshacklehouse with amud roof which leaked wheneveritrained orsnowed.Asinmost fam•

ilies,the girlsstayedathome while the boyswent toschool. .'They werejustwaiting tobemarried;saysmyfather Schoolwasn'tthe onlything my aunts missed out on. In the morningwhen myfather wasgiven cream ormilk, hissisterswere given teawith no milk. Ifthere wereeggs,they would onlybefor the boys. When a chickenwas slaughtered for dinner, the girls would getthe wings and the neck while the lusciousbreast meat was enjoyedbymyfather,hisbrother and mygrandfather.'From

earlyonIcould feelIwasdifferentfrom mysisters; myfather says.

There was little to do in my father's village.Itwas too narrow even for acricket pitch and only one family had atelevision.On Fridaysthe brothers would creep into the mosque and watch in wonder asmygrandfather stood inthepulpit and preachedtothe congregationforanhour orso,waiting forthe momentwhen his voicewould riseandpracticallyshake therafters.

My grandfatherhad studied in India, where he had seen great speakersandleadersincludingMohammadAliJinnah (thefounder ofPakistan),JawaharlalNehru, MahatmaGandhi and Khan Abdul GhaffarKhan, our great Pashtunleader who campaignedforinde• pendence.*Baba,* aslcalled him, had even witnessedthe moment offreedomfrom the Britishcolonialistsatmidnight on 14August 1947.Hehad anoldradio setmyuncle stillhas, onwhich heloved tolisten to the news. His sermonswere often illustratedbyworld eventsorhistoricalhappeningsaswellasstoriesfromtheQuran and theHadith, thesayingsofthePropheт,PeaceBeUpon Him. Healso liked totalk about politics.Swatbecamepart ofPakistanin 1969, theyearmyfather wasborn. Many Swatiswereunhappyabout this, complainingabout thePakistanijusticesystem,which theysaidwas much slowerandlesseffectivethantheir oldtribal ways.Mygrand• father wouldrailagainstthe classsystem,the continuingpower of thekhans andthegapbetweenthehavesandhave-nots.

My country may not be very old but unfortunately it already has ahistory ofmilitary coups, and when my father was eight a general called Zia ul-Haq seized power.There arestillmany pic• tures ofhim around. Hewas ascary man with dark panda shad• owsaround his eyes,large teeth

that seemed tostand toattention and hair pomaded flatonhishead. Hearrestedour electedprime minister,ZulfikarAliBhutto, and had him tried fortreason then hanged from ascaffoldinRawalpindijail. Even todaypeople talk ofMr.Bhutto asamanof great charisma.They sayhewasthe first Pakistanileader tostand up for the common people, thoughhe himself was afeudal lord with vast estates of mango fields. His

execution shockedeverybody and made Pakistan look .bad all around theworld. TheAmericanscutoffaid Totrytogetpeople athometosupport him, GeneralZialaunched acampaignofIslamisationto make usaproper Muslimcountry with the army asthe defendersofour country'sideologicalaswell asgeographicalfrontiers.Hetold our people itwas their duty to obey his government becauseitwaspursuing Islamic principles. Zia even wanted to dictate how weshould pray, and set up *salat* orprayer committeesinevery district,even inour remote village, and appointed100,000 prayer inspectors.Before then mullahshad almost been figures offun-myfather saidatweddingparties they would justhang around inacorner andleaveearly-butunder Zia they becameinfluentialandwere called toIslamabadforguidance .onsermons.Evenmygrandfatherwent Under Zia'sregime life forwomen in Pakistan becamemuch more restricted.Jinnah said,'Nostrugglecaneversucceedwithout women participating side byside with men. Therearetwo pow• ersinthe world; one isthe sword and the other isthe pen. There isathird power strongerthan both, that ofwomen: But General ZiabroughtinIslamic lawswhich reducedawoman's evidencein court tocount foronlyhalfthat ofaman's. Soon our prisons were fullofcaseslikethat ofathirteen-year-old girlwho wasraped and become pregnantandwasthen senttoprison foradulterybecause shecouldn'tproducefourmalewitnesses toprove itwasacrime. A woman couldn'tevenopen a bank accountwithoutaman'spermis• sion.Asanation

wehavealwaysbeengood athockey,butZiamade our female hockey players wear baggy trousers instead ofshorts, and stoppedwomen playing some sports altogether.

Many ofour madrasasorreligiousschools were opened atthat time, andinallschools religiousstudies,what wecall*deeniyat,* was replacedby*Islamiyat,* or Islamic studies,which childrenin Paki• stan stillhavetodotoday. Our history textbookswererewrittento describePakistanasa'fortressofIslam,which made itseemasifwe had existed farlonger than since 1947,and denounced Hindus and

Jews.Anyonereading them might think wewon thethree .warswe havefought and lostagainst ourgreat enemy India Everythingchangedwhen myfather wasten.JustafterChristmas the Russiansinvaded our neighborAfghanistan. 1979 Millions ofAfghansfled acrossthe border and GeneralZiagavethem ref• uge.Vastcamps ofwhite tents sprang upmostly around Peshawar, some ofwhich arestillthere today.Our biggest intelligenceservice belongsto the militaryand iscalled the ISLIt started amassive Programmetotrain Afghan refugeesrecruitedfrom the camps as resistance fightersormujahideen.ThoughAfghans arerenowned fighters,ColonelImam, the officerheadingthe Programme, com- plained that trying toorganizethem 'was'likeweighingfrogs

The Russianinvasion transformed Zia from an international pariah tothegreatdefenderoffreedomintheColdWar. TheAmeri• cans becamefriends with us once again, asin those days Russia wastheir main enemy.Next door tousthe Shah ofIran had been overthrown in arevolutionafewmonths earlier sothe CIA had losttheir main baseinthe region.Pakistantook itsplace. Billions ofdollars flowedinto our exchequerfrom the United States and other Westerncountries,aswellasweaponstohelptheISItrain the Afghanstofightthecommunist RedArmy.GeneralZiawasinvit ed tomeet PresidentRonald Reaganatthe White House and Prime MinisterMargaretThatcherat10 Downing .Street.They lavishedpraise onhim

Prime MinisterZulfikarBhuttohad appointed Zia ashis army chiefbecausehethoughthewasnotvery intelligentandwould not beathreat. Hecalled himhis'monkey:ButZiaturned out tobea very wilyman. Hemade Afghanistanarallyingpoint not onlyfor

theWest,which wanted tostopthespread ofcommunismfrom the SovietUnion, but alsoforMuslimsfrom Sudan toTajikistan,who sawitasafellowIslamiccountryunder attack from infidels.Money poured infrom alloverthe Arab world, particularlySaudi Arabia, which matched whateverthe USsent, and volunteerfighterstoo, includingaSaudi millionairecalled Osama binLaden

We Pashtuns are split betweenPakistan and Afghanistan and don't really recognizethe border that the British drew more than 100yearsago.Soourblood boiledovertheSovietinvasionforboth religious andnationalistreasons.Theclerics ofthemosqueswould often talk about the SovietoccupationofAfghanistanintheir ser• mons, condemning the Russiansasinfidelsand urging people to join thejihad, sayingitwastheir duty asgood Muslims.Itwasasif under Ziajihad had becomethe sixth pillar ofour religionontop ofthe fivewegrow uptolearn- the belief inone God, *namaz* or prayers fivetimes aday,giving *zakat* oralms, *roza*-fasting from dawn tillsunset during the month ofRamadan- and *haj,*the pil• grimagetoMecca,which everyable-bodiedMuslimshould doonce intheir lifetime.Myfather saysthat in our part ofthe world this ideaofjihad wasverymuch encouragedbytheCIA.Childreninthe refugeecamps were even given school textbooksproduced byan Americanuniversitywhich taught basic arithmeticthrough fight• ing.Theyhadexampleslike,'Ifoutof10Russianinfidels,5arekil led byoneMuslim,5would beleft'or'15bullets-10bullets =5bullets: Someboysfrom myfather'sdistrict went offtofightinAfghani• stan. My fatherremembers that one day a *maulana* called Sufi Mohammad cametothevillageand asked young men tojoin him to fightthe Russiansin the name of Islam. Many did, and they setoff,armed with old riflesorjust axes and bazookas.Little did weknow that years later the same *maulana's* organisation would becomethe SwatTaliban.Atthat timemyfather wasonly twelve yearsoldandtooyoung tofight.ButtheRussiansended

upstuckin Afghanistanfor tenyears, throughmost ofthe1980s,andwhen he becameateenagermyfather decidedhetoowanted tobeajihadi. Thoughlater hebecamelessregular in his prayers,inthose days heused toleavehome atdawn everymorningtowalk toamosque inanother village,where hestudied the Quran with asenior *talib.* Atthat time *talib* simply meant 'religiousstudent: Togetherthey studied allthe thirty chaptersofthe Quran, notjust recitationbut alsointerpretation, somethingfewboy

The *talib*talked ofjihad in such glorioustерms that my father wascaptivated.Hewould endlesslypoint outtomyfather that life onearth wasshort and thatthere werefewopportunities foryoung men inthevillage.Our family owned littleland, and myfather did notwant toendupgoing south towork inthecoalmines likemany ofhisclassmates.Thatwastough and dangerouswork, andthecof• finsofthose killed in accidentswould come back several times a year. The best that most village boys could hope forwas togoto Saudi Arabia orDubai and work in construction. Soheaven withitsseventy-twovirgins sounded attractive.Every night my father would pray to God, 'O Allah, please make war betweenMuslims and :infidelssolcandieinyour serviceandbeamartyr

For awhile his Muslimidentity seemed more important than anythingelseinhislife.Hebegan tosignhimself 'ZiauddinPanch• piri' (the Panchpiriareareligious sect) and sproutedthefirstsigns ofabeard. Itwas,he says,akind ofbrainwashing. Hebelieveshe might evenhavethought ofbecomingasuicidebomberhad there been such athing inthose days.Butfrom anearly agehehadbeen aquestioning kind ofboy who rarely took anythingatfacevalue, even though our educationatgovernment schools meant learning byrote and pupils were not .supposedtoquestionteachers

Itwasaround the time hewasprayingtogotoheaven asamar• tyrthathe met mymother'sbrother,PaizMohammad, and started mixing with her family and going toher father's*hujra.* Theywere very involvedinlocal politics,belongedtosecular nationalistpar• tiesand were against involvementinthe war.Afamous poem was written atthat timebyRahmatShah Sayel,thesame Peshawarpoet who wrote thepoem about mynamesake.Hedescribedwhat was happening inAfghanistanasa'war betweentwo elephants'- the USand

the SovietUnion - not our war,and said that wePashtuns were 'likethe grass crushedbythe hooves oftwo fiercebeasts: My father often usedtorecite thepoem tomewhen Iwasachild but I didn't know then what .itmeant

Myfather wasvery impressedbyPaizMohammad and thought

hetalked alotofsense,particularlyabout wantingtoendthefeudal and capitalistsystemsinour country,where the same bigfamilies hadcontrolledthings for yearswhilethepoor gotpoorer. Hefound himself torn betweenthe two extremes,secularismand socialism on one sideand militantIslam on the other. Iguess heended .up somewhereinthemiddle

My father was in aweofmygrandfather and told me wonder• fulstories about him, but healsotold me that hewasaman who could notmeet thehigh standardshesetforothers. *Baba*wassuch apopularand passionatespeakerthat hecould have been agreat leader ifhehad been more diplomaticandlessconsumedbyrival• rieswith cousins andothers whowerebetter off.InPashtunsociety itisvery hardto stomachacousin being more popular,wealthier ormore influentialthan youare.Mygrandfatherhad acousin who alsojoined hisschool asateacher.When hegotthejobhegavehis ageasmuch youngerthan mygrandfather.Our people don't know their exact dates ofbirth -mymother,forexample,doesnotknow when shewasborn. Wetend toremberyears byevents,likean earthquake.Butmygrandfatherknew that hiscousin wasactually much older than him. Hewassoangry that hemade theday-long bus journey to Mingora to see the .Swat minister of education

Sahib,'he told him, 'Ihave acousin who isten years older' than me and youhave certifiedhim ten years younger:Sothe minister said, 'OK, *Maulana,*what shall Iwrite down foryou? Would youliketohavebeen born intheyearoftheearthquakeofQuetta?'My grandfather

agreed, sohisnew date ofbirth became 1935, making him much youngerthan hiscousin.

Thisfamilyrivalry meantthat myfather wasbullied alotbyhis cousins. Theyknew hewas insecure about his looks becauseat school the teachersalwaysfavoredthe handsome boys fortheir fairskin. Hiscousins would stop myfather onhiswayhome from school and tease him about being short and dark-skinned. Inour society youhavetotakerevengeforsuchslights,butmyfather was much smaller than hiscousins.

Healsofelthecould neverdoenough toplease mygrandfather. *Baba*had beautifulhandwriting and myfather would spend hours painstakinglydrawingletters but*Baba*never oncepraised .him

Mygrandmother kept hisspirits up - hewasher favoriteand she believedgreat things layin store for him. Sheloved him so much that she would sliphim extra meat and the cream offthe milk while she went without.But itwasn't easy to study asthere wasnoelectricityinthevillageinthose days.Heusedtoread*by*the light ofthe oillamp inthe*hujra,* and one eveninghewent tosleep and theoillamp fell over.Fortunatelymygrandmotherfound himbefore afirestarted. Itwasmygrandmother's faithinmyfather that gavehim the couragetofind his own proud path he could .travel along. Thisisthepath thathewould later showme

Yetshetoo gotangry with him once. Holy men from aspiritualplace called Derai Saydanused totravel the villagesinthose days beggingforflour.One daywhilehisparents wereoutsomeofthem came tothehouse.Myfather brokethesealonthewoodenstorage box ofmaize and filledtheir bowls.When mygrandparents .came home they werefurious andbeat him

Pashtuns are famouslyfrugal (though generous with guests), and *Baba* was particularly careful with money.Ifany ofhis chil• dren accidentallyspilt their food hewould flyinto arage.Hewas anextremelydisciplinedma~ andcould not understand why they werenotthesame.Asateacher hewaseligibleforadiscountonhis sons' school feesforsports

andjoining theBoyScouts.Itwassue a small discountthat most teachersdidnot bother, butheforced nly father toapply forthe rebate.Ofcourse myfather detesteddoing this.Ashewaited outsidetheheadmaster'soffice,hebroke outinto asweat,and once inside hisstutter wasworse than ever.'It feltaifmyhonour wasatstake forfiverupees; hetold me.Mygrand• father Allhisbooks wereinscribedwithother boys'names, never .hisown

It'snot thatpassingbooks onisabad' practice;hesays.'It'sjust Isowanted anewbook, unmarkedbyanother student and bought with :myfather's*money*

Myfather'sdislike of*Baba's*frugalityhasmade him avery •gen erous manboth materiallyandinspirit. Hebecamedetermined toend thetraditionalrivalry betweenhim and hiscousins.When hisheadmaster'swifefellill,myfather donatedblood tohelp saveher. Theman wasastonishedandapologizedforhaving tormented him. When myfather tellsme stories ofhis childhood, he always says that though *Baba*wasadifficultman hegavehim themost impor• tant gift- the giftofeducation.He sent myfather tothe govern• ment high school tolearn Englishand receiveamodern education rather than to amadrasa,even though asan imam people criti• cised him forthis. *Baba*alsogavehim adeep loveoflearningand knowledgeaswellasakeen awarenessofpeople'srights, which my father haspassed ontome.Inmygrandfather'sFriday addresseshe would talkabout thepoor and thelandownersandhow true Islam

isagainst feudalism.Healso spokePersian and Arabic and cared deeply forwords. Heread thegreat poems ofSaadi,Allama Iqbal andRumitomyfatherwith suchpassion .andfireitwasasifhewas teachingthewhole mosque

Myfather longedtobeeloquentwith avoice that boomed out

with nostammer,andheknew mygrandfatherdesperatelywanted him tobeadoctor, but though hewas avery bright student and agifted poet, hewaspoor atmaths and scienceand felthewasa disappointment. That'swhy he decidedhewould make his father proud by entering the district'sannual public speakingcompeti• tion. Everyonethoughthewasmad. Histeachersandfriends triedtodissuadehim andhisfather wasreluctanttowritethespeech for him. Buteventually*Baba*gavehim afinespeech,which myfather practicedand practiced. He committed every word to memory while walkinginthehills,recitingittothe .skiesandbirds asthere wasnoprivacy intheir home

There wasnotmuch todointhe areawhere they lived sowhen the day arrived there was ahuge gathering. Other boys, someknown asgood speakers,gavetheir speeches.Finallymyfather wascalled forward.'Istood atthelectern: hetold me, 'hands shaking and knees knocking,soshort Icould barely seeover the top and soterrifiedthefaceswere ablur.Mypalms were sweatingand my mouth wasasdryaspaper: Hetried desperatelynottothink about the treacherousconsonantslyingahead ofhim,just waiting totrip him upand stickinhisthroat, butwhen hespoke, thewords came out fluently like beautifulbutterfliestaking flight.His voicedid not boom

likehisfather's,buthispassion shone through and ashe went onhegained confidence.

Atthe endofthespeech there werecheers and applause.Bestof all,ashewent uptocollect thecupforfirstprize, hesawhisfather clappingand enjoyingbeing patted onthe back bythose standing around him. 'Itwas:hesays,'thefirstthing I'd done that made him smile:

After that my father entered every competition in the district.

Mygrandfatherwrote hisspeechesandhealmost alwayscamefirst, gaining areputationlocally asanimpressivespeaker.Myfather hadturned his weaknessinto strength.For thefirst time *Baba* started praisinghim infront ofothers. He'd boast, 'Ziauddin is a*Shaheen* afalcon - becausethis isacreaturethat flieshigh above - other birds.'Write yourname as"ZiauddinShaheen"hetold him.Fora whilemyfather didthisbutstoppedwhen herealizedthat although afalcon flieshigh itisacruel bird. Instead hejust calledhimself ZiauddinYousafzai, ourclannam

3

GrowingUpinaSchool

MYMOTHER STARTED schoolwhen she wassixandstopped thesameterm.Shewasunusualinthevillageas shehada father .andbrotherswhoencouragedhertogotoschool Shewastheonlygirlinaclassof boys.Shecarried herbagofbooks proudlyinto school and claims shewasbrighterthan theboys.But every dayshewould leavebehind hergirlcousins playing athome and she envied them. There seemed no point in going to school just toend upcooking,cleaningand bringingup children,soone dayshesold herbooks fornine annas, spent the money onboiled sweets and never went back. Her fathersaid nothing. Shesayshe didn't even notice, as_hewould setoffearly every morning aftera breakfastofcornbreadandcream, hisGermanpistolstrappedunder his arm, and spend his days busy with local politics or resolving feuds. .Besideshehad sevenother childrentothink about Itwasonlywhen shemetmyfather that shefeltregret. Herewas aman who had read so many books, who wrote her poems she could notread,andwhose ambitionwastohavehisownschool.As his wife, she wanted to help him achievethat. For aslong asmy father could rememberithad been hisdream toopen aschool,but with nofamily contactsormoney itwasextremelyhard forhim to realise this dream. Hethought therewasnothingmore important than knowledge.Herememberedhowmystifiedhehadbeenbyth e riverinhisvillage,wonderingwhere thewater camefrom andwent to,until helearned about thewater cyclefrom .therain tothesea

Hisown villageschool had been just asmall building.Many of

hisclasseswereтaught under atreeonthebare ground.Therewere no toilets and the pupils went to the fields to answer the call of nature. Yethesayshewasactuallylucky.Hissisters -myaunts - did not gotoschool atall,just likemillionsofgirlsinmycountry. Education hadbeen agreat giftforhim. Hebelievedthat lackof educationwastheroot ofallPakistan'sproblems.Ignoranceallowed politicianstofoolpeople andbad administrators tobe re-elected. He believedschoolingshould be availablefor all,rich and poor, boys and girls. The school that myfather dreamedofwould have desks and alibrary,computers,bright posters on the walls and, most .important, washrooms

Mygrandfather had adifferent dream forhisyoungestson - he longed for him to be adoctor - and asone ofjust two sons, he expectedhim to contribute to the household budget. Myfather's elder brotherSaeed Ramzanhad worked foryears asateacher at alocal school.He and his family lived with my grandfather, and wheneverhesavedupenough ofhissalary,they built asmall con- crete*hujra* at the side ofthe house for guests.He brought logs backfrom themountainsforfirewood, andafterteachinghewould work in the fields where our family had afewbuffaloes.He alsohelped *Baba*withheavy taskslikeclearingsnow from .theroof

When myfather wasofferedaplace forhisALevelsatJehanzeb College,which isthebest further educationinstitutioninSwat,my grandfather refused topayforhisliving expenses.Hisown educa• tioninDelhi hadbeen free-hehadlivedlikea*talib*inthemosques, and local people had providedthe studentswith food and clothes. Tuition atJehanzebwasfreebutmyfather needed money toliveon. Pakistandoesn't havestudent loans and hehad never evensetfoot inabank.

ThecollegewasinSaiduSharif,thetwintownofMingora, andhehad nofamily there withwhom hecould stay.Therewasno other collegeinShangla,and ifhe didn't

goto college,hewould never beabletomove outofthevillage .and realise hisdream

My father was at his wits' end and wept with frustration. His belovedmother had died just before he graduated from .school

He knewifshehad been alive,shewould have been on his side. Hepleadedwith his father but tono avail.His only hope washis brother-in-lawinKarachi.Mygrandfathersuggestedthat hemight takemyfather insohecould gotocollegethere. Thecouple wouldsoon bearrivinginthevillageasthey werecoming tooffercondo• lences aftermygrandmother's .death

Myfather prayed they would agree, but my grandfather asked them as soon asthey arrived,exhaustedafter the three-day bus journey,and hisson-in-lawrefused outright.Mygrandfatherwas so furioushe would not speak to them for their entire stay.My father felthehadlosthischance andwould end uplikehisbrother teaching in alocal school.The school where Uncle *Khan dada* taught wasinthemountainvillageofSewoor,about anhour and a half's climb from their house. Itdidn't evenhaveitsown building. Theyused thebighallinthemosque,where theytaught more than ahundred childrenrangingfrom .fivetofifteenyearsold

The peoplein Sewoorwere Gujars,Kohistanisand Mians.We regard Mians asnoble orlanded people, butGujars and Kohistanis are what we call hilly people,peasants who look after buffaloes. Their childrenareusuallydirty and they arelooked down upon by Pashtuns,even ifthey arepoor themselves.'They aredirty, black and stupid; people would say.'Letthem beilliterate:Itisoften said that teachersdon't like tobe

posted to such remote schoolsand generallymakeadealwiththeir colleaguessothatonlyoneofthem hastogotoworkeachday.Iftheschool hastwoteachers,eachgoes inforthree daysand signstheother in.Ifithasthree teachers,each goesinforjusttwodays.Oncethere, alltheydoiskeepthechildren quiet withalongstickastheycannot imagineeducationwillbeany .usetothem

My unclewas more dutiful. He likedthe hilly people and respectedtheir tough lives.Sohewent totheschool most daysand actuallytried toteach thechildren.After myfather hadgraduated from school he had nothing to do sohe volunteeredto help his brother.Therehisluckchanged.Anotherofmyaunts hadmarried

aman in that village and they had arelativevisiting called Nasir Pacha,who sawmyfather atwork. Nasir Pachahad spent years in SaudiArabia workinginconstruction,making money tosendback tohis family.Myfather told him hehad just finishedschool and had won acollegeplace atJehanzeb.Hedid notmentionhecould not .affordtotakeitashedidnotwant toembarrasshisfather .Why don'tyoucome andlivewith us?'asked Nasir Pacha' Oof, Iwassohappy,byGod; saysmyfather.Pacha' andhiswife Iajaibecamehis second family.Their home was in SpalBandi,a beautifulmountain villageonthewaytotheWhite Palace,and my father describesitasaromantic and inspirational place. Hewent there bybus, and itseemed sobigtohim compared tohis home villagethat he thought he'd arrived in acity.As aguest, he was treated exceptionallywell.Jajaireplacedhislatemother asthemost important woman inmyfather'slife.When avillagercomplained to her that he was flirting with agirl living across the road, she defendedhim. .'Ziauddinisascleanasaneggwith nohair; shesaid Look insteadtoyour own' :daughter

ItwasinSpalBandi that myfather came across women who had great freedomandwere nothidden awayasinhisownvillage.The women ofSpal Bandi had abeautiful spot on top ofthe moun• tain where only they could congregateto chat about their every• daylives.Itwasunusualforwomen tohaveaspecial placetomeet outside thehome. Itwasalsothere that myfather methismentor Akbar Khan, who althoughhehad notgone tocollegehimself lent my father money sohe could. Likemymother,Akbar Khanmay not havehad much ofaformal education,but hehadanother kind

ofwisdom.Myfather often spoke ofthe kindness ofAkbar Khan and Nasir Pacha toillustratethat if youhelp .someoneinneed you might alsoreceiveunexpectedaid

Myfather arrivedatcollegeatanimportant momentinPakistan's history.Thatsummer,while hewaswalkinginthe mountains,our dictatorGeneralZiawaskilled inamysteriousplane crash, which

many peoplesaidwascaused byabomb hidden inacrate ofman• goes.During myfather'sfirstterm atcollege nationalelectionswere held, which were won by BenazirBhutto,daughter ofthe prime ministerwho had been executedwhen myfather wasaboy.Benazirwasour firstfemaleprime ministerand the firstinthe Islamic .world.Suddenlythere wasalotofoptimismabout thefuture Studentorganizationswhich hadbeenbanned under Ziabecame very active.Myfather quicklygotinvolvedinstudent politics and becameknown asatalented speakerand debater.He wasmade generalsecretary ofthePakhtoonStudents Federation(PSF),which wanted equal rights for Pashtuns. The most important jobs in the army, bureaucracyand government are alltaken byPunjabis becausetheycome from thebiggestandmost .powerfulprovince

Theother mainstudent organisationwasIslami ,Iamaat-e-Talaba thestudent wing ofthereligiousparty Iamaat-e-Islami,which was powerfulinmany universitiesinPakistan. Theyprovidedfreetext• books andgrants tostudentsbut held deeply intolerantviews and theirfavoritepastimewastopatrol universitiesandsabotagemusic concerts.Theparty hadbeen closetoGeneralZiaand done badly inthe elections. Thepresidentofthe students'group inJehanzeb CollegewasIhsan ul-Haq Haqqani.Thoughheand myfather were great rivals, they admired each other and later becamefriends. Haqqanisaysheissuremyfather would havebeen presidentofthe PSFand becomeapoliticianifhehad been from arichkhan fam• ily.Studentpolitics wasallabout debatingand .charisma,butparty politics requiredmoney

One oftheir most heated debates in that first year wasover a novel. Thebook wascalled *TheSatanic Verses*bySalman Rushdie, and itwasaparody ofthe lifeofthe

Prophet,PBUH, setinBom• bay.Muslimswidely considereditblasphemous and itprovoked somuch outrage that itseemed people were talking oflittle else. Theodd thing wasnoonehad even noticed the publicationofthe book to start with - itwasn't actuallyon sale in Pakistan- but then aseries ofarticles appearedinUrdu newspapersbyamullah

close toour intelligenceservice,beratingthe book asoffensiveto the Prophet, PBUH,and saying itwas the duty ofgood Muslims to protest. Soon mullahs allover Pakistan were denouncing the book, calling forittobebanned, and angry demonstrations were held. The mostviolent took place in Islamabad on 12 February when Americanflagsweresetalight infront,1989 oftheAmerican Centre - even though Rushdieand his publisherswere British. Police fired into the crowd, andfive people were killed. The anger wasn'tjust inPakistan.Twodayslater AyatollahKhomeini, the supreme leader of Iran, issued afatwa calling for Rushdie's .assassination

Myfather's collegeheld aheated debate inapacked room. Many studentsargued that the book should bebanned and burned and thefatwa upheld. Myfather alsosawthe book asoffensivetoIslam but suggested:'First, let'sread thebook and then whyoutrespond with our own book: Heended byasking inathundering voicemy grandfather would have been proud of,'IsIslam such aweak reli• gionthat itcannot tolerate abook written against it? '!Not*my*Islam

For the first fewyears after graduating from Jehanzebmy father worked asanEnglishteacher inawell-knownprivate college.But thesalary waslow, just1,600rupees amonth (around£12),andmy grandfather complainedhewasnot contributing tothehousehold. Itwasalsonotenough forhimtosaveforthe weddinghehoped for .tohisbelovedTorPekai

Oneofmyfather'scolleaguesattheschool washisfriend •Moham madNaeem Khan.Heandmyfather hadstudied fortheirbachelors and master'sdegreesinEnglishtogetherand wereboth passionate about education.Theywere alsoboth frustrated asthe school was verystrict and

unimaginative.Neither thestudentsnortheteachers weresupposedtohavetheir ownopinions,and theowners'control wassotight they even frownedupon friendshipbetweenteachers. Myfather longed for the freedomthat would come with running his own school.He wantedto encourage independent thought

and hatedthe waytheschool hewasatrewardedobedienceabove open-mindedness andcreativity. Sowhen Naeemlosthisjobaftera dispute with thecollegeadministration, they decidedtostart their own .school

Their originalplan was to open aschool in my father's village ofShahpur,where there was adesperateneed: 'Like ashop in a communitywhere there arenoshops; hesaid.Butwhen they went there tolook forabuilding,there werebannerseverywhereadver• tising aschool opening-someonehad beaten them toit.Sothey decidedtosetupanEnglish-languageschool inMingora,thinking that since Swatwasatourist destinationthere would beademand .forlearninginEnglish

As myfather was still teaching,Naeem wandered the streets lookingforsomewheretorent. One dayhecalled myfather excit• edly to sayhadfound the ideal place. Itwas theground floor of atwo-storeybuildinginawell-off areacalledLandikaswithawalled courtyard where studentscould gather.The previoustenants had alsorun aschool -theRamadaSchool.Theowner hadcalleditthat becausehe had once been to Turkeyand seen aRamadaHotel! But theschool had gone bankrupt, which perhaps should have made them think twice. Also the building was on the banks of ariver where people .threw their rubbish and itsmelt foul in hot weather

Myfather wenttoseethe buildingafter work. Itwas aperfect

night withstars andafullmoon justabovethetrees,which hetook tobeasign.'Ifeltsohappy;herecalls.'Mydream wascoming *true:* Naeen and myfather investedtheir entire savingsof60,000rupees. They borrowed30,000rupees more to repaint the build• ing, rented ashack across the road tolivein and went from door todoor trying tofindstudents.UnfortunatelythedemandforEng• lishtuition turnedouttobelow,andthere wereunexpecteddrains on their income.Myfather'sinvolvementin politicaldiscussions continued after college.Every dayhis fellowactivistscame tothe shackortheschool forlunch. '!'Wecan'taffordallthisentertaining

Naeem wouldcomplain.Itwasalsobecomingclearthat whilethey werebest friends,they found ithard towork .asbusinesspartners

On topofthat, there wasastream ofguests from Shanglanow thatmyfatherhadaplaceforthem tostay.WePashtunscannot turnawayrelativesorfriends,howeverinconvenient. Wedon't respectprivacy andthere is nosuchthing asmaking anappointmenttosee someone.Visitorscanturn upwhenever*they*wish and canstayas long as*they*want. Itwasanightmareforsomeonetrying tostart a businessand itdrove Naeem todistraction. Hejoked tomyfather that ifeither ofthem had relatives to stay,they shouldpayafine. Myfather kepttrying to persuade Naeem'sfriendsand !family to staysohecould befined too

After threemonths Naeem had had enough.'Wearesupposed tobecollectingmoney inenrolment fees.Instead theonlypeople knocking on our doors arebeggars!This isaHerculean task; he '!added. 'Ican'ttake anymore

Bythistimethetwoformer friendswerehardly speakingtoeach other and had tocallinlocalelders tomediate.Myfather wasdes• perate not togiveup the school soagreed topayNaeem areturn on his share ofthe investment. He hadno idea how. Fortunately another old college friend called Hidayatullah stepped in and agreed toputupthemoney and take Naeem'splace. Thenewpart• ners again went from door todoor, telling people they had started anewkind ofschool. Myfather issocharismaticthat Hidayatullah saysheisthekind ofperson who,if invited toyourhouse, willmake friends with your friends.Butwhile people were happy totalk to him, they preferredtosend their .childrentoestablishedschools

Theynamed·itthe KhushalSchool after one ofmyfather's great heroes, Khushal Khan Khattak, the warrior poet from Akorajust south ofSwat, who tried to

unify all Pashtun tribes against the Moghulsin the seventeenth century.Near theentrance they paintedamotto: WE ARE COMMITTED TO BUILD FOR YOU THE CALL OF THE NEW ERA.Myfather alsodesignedashield with a famous quote from KhattakinPashto:'Igirtmysword inthename

ofAfghan honour:Myfather wanted ustobeinspiredbyour great hero, but in amanner fitfor our times - with pens, not swords. JustasKhattakhad wantedthePashtunstounite against aforeign enemy,soweneeded tounite .againstignorance

Unfortunately notmany people were convinced. When the school opened they hadjust three students. Even somy father insisted onstarting thedayinstylebysinging thenationalanthem. Then hisnephewAziz,who had come tohelp, raised the Pakistan .flag

With sofewstudents,they had little money toequip the school

and soonranoutofcredit. Neither man could getanymoney from their families,and Hidayatullahwas not pleased to discoverthat my father was stillin debt tolots ofpeople from college,sothey were alwaysreceivingletters .demandingmoney

There was worse in store when my father went to register the

school.After being made towaitforhours, hewasfinallyushered into the officeofasuperintendent ofschools,who satbehind tow• ering piles offilessurrounded byhangers-on drinking tea. 'What kind ofschool isthis?' asked theofficial,laughingathis applica• tion. 'How manyteachersdo you have? Three! Your teachersare not trained.Everyonethinks theycanopen aschool justlikethat!' Theother peopleintheoffice laughedalong, ridiculinghim. My father wasangry.It wasclear the superintendent wanted money. Pashtunscannot standanyone belittlingthem, nor

washeabout to payabribe forsomethinghewasentitled to.Heand Hidayatullahhardly had money topayforfood, letalone bribes. Thegoing rateforregistrationwasabout 13,000 rupees, more ifthey thoughtyou wererich.And schoolswereexpectedtotreatofficials regularlytoa good lunch ofchickenortrout from theriver.Theeducationofficer would calltoarrange aninspectionthen giveadetailedorder for hislunch. Myfather usedtogrumble,'We'reaschool notapoultry far :m

Sowhen theofficialangled forabribe, myfather turned onhim with allthe forceofhisyears ofdebating.'Why areyou asking all

these questions?'hedemanded.'Amlinanofficeoramlinapolice station or acourt? Am Iacriminal?' Hedecidedtochallengethe officialstoprotect otherschool owners from suchbullyingandcor• ruption.Heknew thattodothisheneeded some power ofhisown, sohejoined anorganisationcalled the SwatAssociationofPrivate Schools. Itwas smallinthose days,just fifteen members,and .my father quickly becamevicepresident

The other principals took paying bribes for granted, but my father argued thatifalltheschools joined .togethertheycould resist

Running aschoolisnot acrime: hetold them. 'Why> shouldyou bepaying bribes? Youarenot runningbrothels;you areeducating children! Government officialsare not your bosses: he reminded them; 'they areyour servants.They aretaking salaries and :have to serveyou.Youaretheoneseducating*their*children

Hesoon becamepresidentofthe organisation and expandedit until itincluded400 principals.Suddenlythe schoolowners were in aposition ofpower. Butmyfather has always been aromantic rather than abusinessman and in the meantime heand Hidayat• ullah were insuch desperatestraits that they ran outofcredit with the local shopkeeper and could not even buy tea orsugar. Totry and boost their income they ran atuck shop atschool, going offin the mornings and buying snacks toselltothe children.Myfather would buy maizeand stay up late at .night making and bagging popcorn

Iwould getvery depressedand sometimes' collapseseeing the problemsallaround *us:*said Hidayatullah, (butwhen Ziauddinis :inacrisishebecomesstrong and hisspirits high

My fatherinsisted that they needed to think big. One day Hidayatullah came back from trying to enrollpupils to find my father sitting inthe officetalking about advertisingwith the localhead ofPakistanTV.Assoon asthe

man had gone, Hidayatullah burst intolaughter.'Ziauddin,wedon't evenhaveaTV:hepointed out.<lfweadvertisewewon'tbeabletowatch it:Butmyfather .isan optimisticman and never deterredbypracticalities

---

One day myfather told Hidayatullahhewas going back tohis villageforafewdays.Hewasactuallygetting married,buthedidn't tellanyofhisfriends inMingoraashecould not affordtoentertain them. Our weddingsgoon forseveraldays offeasting.Infact, as my mother often reminds my father,he was not present for the actual ceremony. Hewasonly there forthe last day,when family members held aQuran and ashawl over their heads and held a mirror forthem tolook into. Formany couplesinarrangedmar• riages this isthe firsttime they seeeach other's faces.Asmall boywasbroughttositontheir .lapstoencouragethebirth ofason

It isour tradition forthe bride to receivefurniture orperhaps afridge from her familyand some gold from the groom'sfamily. Mygrandfather would not buy enough gold somy father had to borrow more money tobuybangles.Aftertheweddingmymother moved inwithmygrandfatherandmyuncle.Myfather returnedto thevillageevery twoorthree weeks toseeher.Theplanwastoget hisschool goingthen, onceitwassuccessful,send forhiswife.But *Baba* kept complaining about the drain on his income and made my mother'slifemiserable.Shehad alittle money ofher own so they used ittohire avanand shemoved toMingora.Theyhad noideahow they would manage.'Wejust knewmyfather didn't want usthere: saidmyfather.~t that time Iwasunhappywith myfam• ily, :butlater Iwasgratefulasitmade memore independent Hehad howeverneglectedtotellhispartner.Hidayatullah was horrifiedwhen myfather returnedtoMingorawith

awife.'We're notinapositiontosupport afamily;hetold '?myfather.'Where will shelive :It'sOK; repliedmyfather.'Shewillcook andwash for*us*' Mymother wasexcitedtobeinMingora.Toher itwasamod• erntown. When sheandherfriends had discussedtheir dreams as young girls bythe river, most had just saidthey wanted tomarry and have children and cookfortheir husbands.When itwas my mother'sturn shesaid,'Iwanttoliveinthecityandbeabletosend out for ,kebabs and naan instead of cookingit myself: However

lifewasn't quite what sheexpected.Theshack had just tworooms, one where Hidayatullahand myfather slept and one which wasa small office.Therewasnokitchen,noplumbing.When mymother arrived,Hidayatullah had to move into the officeand .sleep on a hard woodenchair

Myfather consultedmy mother on everything.'Pekai, helpme resolvemyconfusiononthis: hewould say. Sheevenhelped white• wash the school walls,holdingupthelanternssothey could paint when .thelightwent offinpower cuts

Ziauddin wasa family man and they were unusually' close; said Hidayatullah.'While most ofuscan't livewith :our wives, he couldn'tbewithouthis

Within afewmonths mymother ,wasexpecting.Theirfirstchild born in1995,wasagirland stillborn.'Ithink there wassome prob• lem with hygieneinthat muddy place; saysmyfather. 'Iassumed women could givebirth withoutgoing tohospital,asmymother and mysisters had inthevillage.Mymother gavebirth totenchil• dren inthis :way

Theschool continuedtolosemoney.Monthswould passandthey could notpaytheteachers'wagesortheschool rent. Thegoldsmith kept coming and demanding hismoney formymother'swedding bangles.Myfatherwould makehimgood teaandofferhim biscuits in the hope that .would keep him satisfied.Hidayatullahlaughed

Youthink hewillbehappy with tea?Hewants' :his*money*

Thesituationbecamesodirethatmyfather wasforced tosellthe gold bangles.Inour culture. Weddingjewelryisabond betweenthe couple. Often womenselltheir jewelryto help set up their husbandsinbusinessortopaytheir farestogoabroad. Mymother had already offered her banglestopay for my

father's nephewto gotocollege,which myfather had rashly promisedtofund - for• tunately,myfather's cousin Jehan SherKhan had steppedin-and she did not realise the banglesweре only partly paid for.Shewas then furious when she learned that my father did not get agood price .forthem

Justwhen itseemed matters could not getworse, the area was hit byflash floods.There wasadaywhen itdid not stop raining andinthelateafternoonthere wasawarningofflooding.Everyone had to leave the district.Mymother was away and Hidayatullah needed myfather tohelphim moveeverythinguptothefirstfloor, safefrom thefast-risingwaters,buthecouldn'tfindhim anywhere. Hewent outside,shouting'Ziauddin,Ziauddin!'Thesearch almostcost Hidayatullah his life. The narrowstreet outside the school wastotally floodedand hewassoon uptohisneck inwater. There wereliveelectric cableshanginglooseand swayinginthewind. He watchedparalyzedwith fearastheyalmost touchedthewater. Had they doneso,hewould havebeen .electrocuted

When hefinallyfound myfather,helearned that hehad heard a woman crying that herhusbandwastrapped intheir house andhe had rushed into savehim. Then hehelped them savetheir fridge. Hidayatullahwasfurious.'Yousavedthiswoman'shusband butnot your ownhouse!' '?hesaid.'Wasitbecauseofthecryofawoman

When thewaters receded,theyfound their home •andschool des troyed:their furniture, carpets,books, clothes and the audio sys• tem entirelycaked inthick foul-smellingmud. Theyhad nowhereto sleep and no clean clothes tochange into. Luckily,aneighborcalled Mr.Aman-ud-din took them inforthenight. Ittook thema weektoclearthedebris. Theywereboth awaywhen, tendayslater, there was asecond flood and the buildingagain filled with mud. Shortly

afterwardsthey had avisitfrom anofficialofWAPDA,the water and power company,who claimedtheir meter was rigged and demandedabribe. When myfather refused,abillarrived with alarge fine. There was no way they could pay this so my father asked .oneofhispoliticalfriends tousehisinfluence

Itstarted to feelasthough the school wasnot meant tobe,but myfather would notgiveuponhisdream soeasily. Besides,hehad afamily toprovidefor.Iwasborn on12 July1997.Mymother was helped byaneighborwho had deliveredbabies·before.Myfather was in the school waitingand when he heard the news he came running.Mymother wasworriedabouttelling himhehadadaughter notason,buthesayshelooked .intomyeyesandwasdelighted

Malala wasaluckygirl;saysHidayatullah.'When' :shewasborn our luckchanged

But notimmediately.On Pakistan'sfiftiethanniversary on 14 August 1997 there wereparades and commemorations through• outthe country.However,myfather and hisfriends saidthere was nothing tocelebrateasSwathad only sufferedsince ithad merged with Pakistan. They woreblack armbands to protest, sayingthe celebrationswerefornothing,andwerearrested.Theyhadto .paya finethey couldnot afford

Afewmonths after Iwasborn thethree rooms above theschool becamevacant and weallmoved in. Thewalls were concreteand there wasrunning water soitwasanimprovementonour muddy shack,but wewere stillvery cramped aswewere sharing itwith Hidayatullah and we almost alwayshad guests.That firstschool wasamixed primaryschool andvery small.Bythetime Iwasborn ithad fiveor sixteachersand around ahundred pupils paying a hundred rupees amonth. Myfather wasteacher,accountant and principal. He alsoswept the floors,whitewashed the walls and cleanedthe bathrooms. He used to climb up electricitypoles to hang

bannersadvertisingtheschool, eventhough hewassoafraid ofheights that when hegottothe top oftheladder hisfeetshook. If thewater pumpstoppedworking,hewould godown thewellto repair ithimself.When Isawhim disappeardown there Iwould cry, thinking he wouldn't come back. After payingthe rent and salaries,there waslittle money leftforfood. Wedrank greenteaas wecould notaffordmilk forregular tea.Butafterawhiletheschool started tobreak even and myfather began toplan asecond school, which hewanted tocalltheMalala .EducationAcademy

Ihad therun ofthe school asmyplayground.Myfather tellsme even before Icould talk Iwould toddle into classesand talkasifI wasateacher.Some ofthe female stafflikecMiss Ulfatwould pick

meupand put meontheir lapasifIwastheir petoreventakeme home withthem forawhile. When Iwasthree orfour Iwasplaced inclassesformuch older children.Iused tositinwonder,listening to everythingthey were being taught. SometimesIwould mimictheteachers.Youcould .saylgrewupinaschool

Asmyfather hadfound with Naeem,itisnot easytomixbusi• ness and friendship.EventuallyHidayatullahleftto start his own school and they divided the students,each taking two ofthe four years. Theydidnottelltheir pupilsasthey wanted people to think theschool wasexpandingandhadtwobuildings.ThoughHidayat• ullah and my father were not speakingatthat time, .Hidayatullah missed mesomuch heused tovisitme

Itwas while he was visiting one afternoon in September2001 that there was agreat commotion and other people started arriv• ing. They said there had been abig attack on abuilding in New York.Twoplanes hadflown into it.Iwasonlyfour andtooyoung

tounderstand.Evenfortheadults itwashard toimagine-thebig• gestbuildingsinSwatarethehospitaland ahotel,which aretwoor three storeys.Itseemed veryfaraway.Ihadnoideawhat NewYork andAmericawere.Theschool wasmyworld andmyworld wasthe school.Wedid not realise then that 9/11would change our world too,andwould bring warinto ourvalley

4

TheVillage

IN OUR TRADITION ontheseventhdayofachild'slifewehave acelebrationcalled *Woma (*which means 'seventh')forfamily, friends and neighbourstocome and admire thenewborn.My parents had not held oneformebecausethey could not affordthe goat and riceneeded tofeedtheguests, and mygrandfatherwould nothelpthem outbecauseIwasnotaboy.When mybrotherscame along and*Baba*wanted topay,myfather refused ashehadn't done thisforme.But*Baba*wastheonlygrandfatherIhadasmymother's father haddiedbefore Iwasborn andwebecameclose.Myparents say I have qualities of both grandfathers - humorous and wise likemymother'sfather andvocal likemyfather's father! *Baba*had grown softand white-bearded inhis oldageand Iloved going to .visithim inthevillage Wheneverhesawmehewould greet me with asong ashewas stillconcerned about the sadmeaningofmyname and wanted to lend some happinesstoit:"*MalalaMaiwand walada.Patooljehan ke dakhushala da;* he sang. 'Malala isofMaiwandand she'sthe happiestperson inthewhole :world

We alwayswent to the village for the Eid holidays.Wewould dress inourfinestclothes andpileintotheFlying Coach, aminibus with brightlypainted panels and janglingchains,

and drive north toBarkana,our family village inShangla.Eidhappenstwiceayear Eidul-Fitr orSmallEid'marks the end ofthe - Ramadanfasting month, and Eid ul-Azhaor 'BigEid' commemorates the Prophet Abraham'sreadinesstosacrificehis sonIsmail toGod. Thedates

ofthe feastsareannouncedbyaspecial panel ofclerics who watch forthe appearanceofthe crescentmoon. Assoon asweheard the .broadcastontheradio, wesetoff

Thenight beforewehardly sleptbecausewewere soexcited.The journey usually took about fivehours aslong asthe road had not been washed away by rains or landslides,and the FlyingCoach left early in the morning. We struggled to Mingora bus station, our bagsladen with giftsforour family- embroidered shawlsand boxes ofrose and pistachiosweetsaswellasmedicine they could not getinthe village.Some people took sacks ofsugar and flour, and most ofthe baggagewastied to the top ofthe bus in atow• ering pile. Then wecrammed in, fightingover the windowseats even though the panes were soencrustedwith dirt itwashard to see out ofthem. The sides ofSwatbuses arepainted with scenes ofbright pink and yellow flowers,neon-orange tigers and snowy mountains. Mybrotherslikeditifwegotonewith F-16fighterjets ornuclear missiles,though myfather saidifour politicianshadn't spent somuch money onbuildinganatomic bomb wemight have had .enough forschools

Wedrove outofthe bazaar,past the grinning red mouth signs for dentists,the carts stacked with wooden cages crammed with beady-eyedwhite chickenswith scarlet beaks,and jewelrystores with windowsfullofgold weddingbangles.Thelast fewshops as weheaded north outofMingorawerewoodenshacks that seemed tolean oneachother, infront ofwhich

werepilesofreconditioned tyres forthebadroads ahead. Thenwewereonthemain roadbuilt bythe lastwali,which followsthe wide SwatRiver ontheleftand hugs the cliffstothe right with their emeraldmines. Overlooking the riverwere tourist restaurants with bigglass windowswehad never been to.On the road wepassed dusty-faced childrenbent double with hugebundlesofgrassontheir backs and men leading flocksofshaggygoatsthat wanderedhither .andthither

Aswedrove on,the landscapechangedtopaddy fieldsofdeep lush green that smelt so fresh and orchards of apricot and fi trees. Occasionallywe passedsmall marble works over streams which ran milky white with the discharge of chemicals.This made myfathercross. 'Look atwhat these criminalsare doing to pollute our beautifulvalley;healwayssaid. Theroad leftthe river and wound up through narrow passesover steep fir-cladheights, higher and higher,until our ears popped. On top ofsome ofthe peaks were ruins where vulturescircled,the remainsofforts built bythe firstwali.Thebus strainedand labored,thedriver cursing astrucks overtookuson blind bends with steep drops below.My brothers loved this, and they would taunt me and my mother by pointingoutthewreckageofvehiclesonthemountainsi .de

Finallywemade ituponto SkyTurn,thegatewaytoShanglaTop, amountain passwhich feelsasifit'son top oftheworld.Upthere wewere higherthan the rocky peaks allaround us.Inthe fardistance wecould seethesnows ofMalamJabba,ourskiresort. Bythe roadsidewere fresh springs and waterfalls,and when westopped

for abreak and to drink some tea, the airwas clean and fragrant with cedar andpine.Webreatheditinto ourlungsgreedily.Shangla isallmountain, mountain, mountain and just asmall sky.After thistheroad winds backdown forawhile then followsthe Ghwurban River and peters out into arocky track.Theonlywaytocross the river isbyrope bridges or on apulley system bywhich people swing themselvesacross in ametal box. Foreignerscallthem suicide .bridgesbutwelovedthem

Ifyou lookatamap ofSwatyou'll see itisone long valley with littlevalleyswecall*dara*eofftothesideslikethebranche sofatree. Our villagelies about halfwayalong on the east. It'sin the Kana *dara,* which isenclosedbycraggy mountain wallsand sonarrow there isnot even room fora cricket ground. Wecall our village Shahpur,but really there isanecklaceofthree villagesalong the bottom ofthe valley - Shahpur,the biggest; Barkana,where my father grew up; and Karshat, which iswhere mymother lived. At either end isahuge mountain - Tor Ghar, the Black Mountain tothesouth, and SpinGhar,theWhite .Mountain,tothenorth

Weusually stayedinBarkanaatmygrandfather'shouse, where myfather grewup.Likealmost allthehouses inthearea,itwasflat• roofed and made ofstone and mud. Ipreferredstaying inKarshat with mycousins onmymaternalsidebecausethey had aconcrete house with abathroomandthere werelotsofchildrentoplaywith. Mymother and Istayed inthe women'squarters downstairs.The

women spent their dayslookingafter the childrenand preparing food to serve to the men in their *hujra* upstairs.Islept with my cousins Aneesa and Sumbulin aroom which had aclock in the shape ofamosqueand acabinet onthewallcontainingarifleand somepackets ofhair .dye

Inthevillage thedaystarted earlyand evenI,who liked tosleep late,wokewith thesound ofcockscrowingandtheclatter ofdishes as the women prepared breakfastfor the men. In the morning the sun reflectedoffthe top ofTorGhar; when wegotup forthe *fajr* prayers,the first ofour fivedaily prayers,wewould look left and seethe golden peak ofSpin Ghar litwith the first raysofthe sun like awhite lady wearinga*jumar tika* - agold .chain on her forehead

Often rain would then come towash everythingclean, and the clouds would linger onthegreen terracesofthehillswhere people grewradishesandwalnut trees.Dotted aroundwerehives ofbees. Ilovedthegloopy honey, which weatewith walnuts.Down onthe riverattheKarshatendwerewaterbuffaloes.Therewas alsoashed withawoodenwaterwheelprovidingpower toturn hugemillstones togrind wheat andmaize intoflour,which young boyswould then pour intosacks. Nexttothat wasasmaller shed containingapanel with aconfusionofwiressproutingfrom it.Thevillagereceivedno electricityfrom thegovernmentsomany villagersgottheir power .from these makeshifthydroelectricprojects

Asthedaywent onand thesunclimbedhigher inthesky,more and moreofthe White Mountainwould bebathed ingolden sun. Then aseveningcame itfell in shadowasthe sunmoved up the lack Mountain. We timedour prayers by the shadow on the mountains.When thesunhitacertain rock, weused tosayour *asr* orafternoonprayers. Then intheevening,when thewhite peak of Spin Ghar was even more beautifulthan in the morning, wesaid the *makkam* oreveningprayers.Youcould seethe White Moun• tain from everywhere,and myfather told me heused tothink of itasasymbol ofpeace forour land, awhite flagatthe end ofour valley.When hewas achild hethought this small valley was the entire world andthat if anyone wentbeyond thepoint where either mountain kissed thesky,they would falloff

ThoughIhad beenborn in acity,Ishared my father's love of nature. Iloved the rich soil,the greennessofthe plants, the crops, the buffaloesand the yellow butterflies that fluttered about me asIwalked.Thevillage was very poor, but when we arrived our extendedfamily would layonabigfeast. There would bebowls of chicken,rice, local spinachand spicy mutton, allcooked over the firebythe women,followedbyplates ofcrunchy apples, slicesof yellow cake and abigkettle ofmilky tea.None ofthe childrenhad toysorbooks. Theboys played cricket inagully and even theball wasmade from plastic bagstiedtogetherwith elasticbands.

The villagewas aforgotten place. Water wascarried from the spring. Thefewconcretehouses had been built byfamilies whose sonsorfathers had gone south towork inthe mines ortotheGulf, from where they sent money home. There areforty millionsofus Pashtuns, of which ten million live outside our homeland. My father saiditwassadthat theycould never return astheyneeded to keep

workingtomaintain their families'new lifestyle.There weremany familieswith nomen. Theywould visit onlyonceayear,and usually .anewbabywould arrive nine months later Scatteredupanddown thehillsthere werehouses made ofwattle and daub, like my grandfather's, and these often collapsedwhen there were floods. Children sometimesfroze to death in winter. Therewasnohospital.Only Shahpurhad aclinic, andifanyone fell illintheother villagesthey hadtobecarried there bytheir relatives

on awoodenframe which wejokinglycalled the ShanglaAmbu• lance. Ifitwasanythingserious they would have tomake thelong busjourney to Mingoraunless they were lucky enough to know .someonewith acar
Usuallypoliticiansonly visited during electiontime, promising roads, electricity, clean water and schools and giving money and generatorstoinfluentiallocal people wecalled stakeholders,who would instruct their communities on how tovote. Ofcourse thisonlyapplied tothe men; women inour area don't vote.Then they disappeared offto Islamabadifthey were elected to the National Assembly,orPeshawarforthe ProvincialAssembly,andwe'dhear nomore ofthem .ortheir promises
Mycousins madefunofmeformycityways.I didnotlikegoing barefoot.Iread books and Ihad adifferentaccent and used slang expressions from Mingora.Myclotheswere oftenfrom shops and nothome-madeliketheirs. Myrelativeswould askme,'Would you liketo cook chickenforus?' and I'dsay,'No, the chickenisinno• cent. Weshould notkillher: Theythought Iwasmodern because Icame from town. They didnot realise people from Islamabador

.evenPeshawarwould think meverybackward
Sometimeswewent uptothe mountains and sometimesdown tothe river on family trips. Itwasabigstream, toodeep and fast tocross when the snows melted insummer.Theboys wouldfish using earthworms threaded likebeads on astring hangingfrom a longstick. Some ofthem whistled,believingthis would attract the fish. They weren'tparticularly tasty fish. Their mouthswere very rough and horny. Wecalled them*chaqwartee.*
Sometimesagroup ofgirlswould godown totheriverforapicnic withpotsofriceand sherbet.Our favoritegamewas'weddings:Wewould getintotwo groups,each supposedtobeafamily,then each familywould have tobetroth agirlsowecould performamarriageceremony.Every• onewanted meintheir family aslwasfrom Mingoraandmodern. Themost beautifulgirlwasTanzela,and weoften gaveher tothe other group sowecould then haveher .asour bride